الجملة العصبية

والطب النفسي

والأمراض الإكلينيكية

المجلد ١٣-١٢


بسم الله الرحمن الرحیم

الجملة العصبية و الطب النفسى

كاتب:

خالد فائق العبيدى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلميه

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الجملة العصبية و الطب النفسى

اشارة

نام كتاب: الجملة العصبية و الطب النفسى

نويسنده: خالد فائق العبيدى

موضوع: اعجاز علمى

تاريخ وفات مؤلف: معاصر

زبان: عربى

تعداد جلد: ۲

ناشر: دارالكتب العلمية

مكان چاپ: بيروت

سال چاپ: ۱۴۲۶ / ۲۰۰۵

نوبت چاپ: اوّل

[الجزء الثانى عشر]

مقدمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على أفضل و أشرف رسله و أنبيائه سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و على آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

و بعد:

فهذا هو لقاؤنا الثانى عشر معكم فى سلسلتنا (ومضات إعجازية)، و سنتعرض فى هذا الكتاب و الذى يليه إلى السبق القرآنى فى مجال غاية فى الأهمية، و هو النفس البشرية علومها و أسرارها.

إن موضوع الجملة العصبية و النفس و الأرواح هو من المواضيع المعقدة و الشائكة لأنها ترتبط ارتباطا مباشرا بهذه النعمة الإلهية العظيمة، الدماغ هذا اللغز الذى حير البشرية منذ نشأتها و إلى الآن و حتى يرث اللّه الأرض و من عليها .. و هذا الموضوع أيضا فيه من الإعجاز القرآنى ما يبعث على العجب حقا، و إن ما توصل إليه كبار علماء و جراحو العالم ممن كانوا لا يعتقدون بوجود الروح و أن الإنسان هو مادة فقط، يعتبر نصرا كبيرا للإسلام، و من أراد التفصيل فليرجع إلى كتب و مقالات و بحوث و دراسات أجراها علماء و باحثون و مختصون و أطباء و خبراء عالميون كثيرون من المسلمين أو من الأجانب غير المسلمين .. فقد اعترف هؤلاء من خلال هذه البحوث بوجود الروح، و أن الإنسان هو روح و جسد و ليس جسد حسب، و أن القرآن هو الحق المطلق، و أن المعلومات التى توصلوا إليها فى بحوثهم الطبية سواء أ كانت فى الطب النفسى و الأحلام أو الجملة العصبية و الدماغ و متاهاته أو موضوع الأرواح و الباراسايكولوجى فى سنين عديدة تصل إلى ۳۰ عاما من العمل المضنى لفريق أو فرق بكاملها، فإن القرآن العظيم و السنة الشريفة كانا قد سبقاهم بالإشارة فى آيات أو أحاديث شريفة، و قد أثبتوا ذلك علميا و عرضوا نتائجهم فى مؤتمرات و بحوث علمية طبية ..

و قد قام الدكتور الاختصاصى بهذا المجال أحمد عدنان بإلقاء عدة محاضرات بهذا الخصوص موضحا الإعجاز القرآنى العظيم فى

هذا الحقل من العلم فجزاه اللّه ألف خير،

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۴

و فى كتابنا هذا و الذى يليه سيكون لنا إطلالة على هذا البحر الكبير.

كما يبحث هذا الكتاب فى تربية الإسلام للنفس البشرية و كيفية السمو بها لتجعل من صاحبها فردا مفيدا للمجتمع، و كيف عالج كل من القرآن و السنة هذه المفردة الخطيرة التى يبنى عليها كل معروف و خير فى هذا العالم .. و الإسلام يبنى الأمور على التناغم و الترابط بين المادة و الروح، و العلم و الخلق و كما ذكرنا فى الكتب السابقة ... فمثلا يبين لنا النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن العمل الخيّر و المعروف لا يقتصر على ممارسات تعبدية، بل هو خلق جميل و تعامل طيب مع الجميع بدءا من الأسرة و انتهاء بالعمل و المجتمعات، بل و حتى ابتسامة رقيقة مع الناس تكتب لك فيها عمل صالح يرضى به اللّه عنك و يكافئك عليه فى الدنيا بمحبة و قبول تنزل لك فى قلوب الناس، و فى الآخرة لك به الجزاء الأوفى .. فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه (كتاب البر و الصلة و الآداب ۴۷۶۰) عن عبد اللّه بن الصّامت عن أبى ذرّ قال: قال لى النّبى صلّى اللّه عليه و سلّم (لا تحقرنّ من المعروف شيئا و لو أن تلقى أخاك بوجه طلق) ..

فهل من تربية للنفس أجمل و أسمى من ربط العبادات بالسلوك و المعاملات لبناء الإنسان الأمثل و من ثم المجتمع الأجمل.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۵

الفصل الأول الجهاز العصبى و الحسى

۱- الأعصاب و جذع الدماغ:

يقول الدكتور عمار محمد سليمان الشماع فى بحثه (حبل الوريد فى القرآن و الحديث و الطب) ما نصه: قال اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (۱۶)، (سورة ق: ۱۶).

عند ما نمعن النظر فيما قدمه المفسرون لنا من السلف الصالح بخصوص هذه الآية الكريمة نجد أن معظم الآراء تلتقى على أن حبل الوريد قد قصد به وعاء دموى و هو العرق بجانب العنق تزعم العرب أنه من الوتين «۱». و لكن هناك بعض المؤشرات التى تجعل هذا التفسير بعيدا عن الدقة لمن نظر فى الآية بتعمق و تخصص أكثر. فعبارة حبل الوريد لا تعنى وعاء دمويا لأن الحبل و هو ما يكون غير مجوف (أو غير أنبوبى) لا يمكن أن يسمى حبلا إذا أصبح مجوفا لأنه بذلك يفقد من قوته و يكتسب صفة أخرى. و لقد ربط اللّه سبحانه و تعالى فى هذه الآية بين وسوسة النفس و بين قربه من حبل الوريد، و على اعتبار أن الوسوسة تحصل فى الدماغ فإن هناك أعضاء أخرى هى أقرب للدماغ من العرق فى الرقبة و عليه كان من باب أولى أن يتم ذكرها بدلا من هذا العرق فضلا عن أن العرق الدموى ليس له علاقة بعملية الوسوسة. بالإضافة إلى ذلك فلو كان المقصود بحبل الوريد ذلك العرق الذى ينقل الدم إلى الدماغ فإن هناك عرقا آخر لا يقل أهمية عن العرق الأول يقوم بنقل الدم إلى أماكن غاية فى الأهمية من الدماغ. أضف إلى ذلك الحقيقة التى تضمنتها الآية الكريمة و هى الإشارة إلى حبل الوريد على أنه عضو فردى و غير مزدوج و هذه الحقيقة لا تتفق مع التفسير المصطلح عليه لحد الآن إذ أن (۱) تفسير البيضاوى، القاضى ناصر الدين البيضاوى (ج ۲ ص ۴۲۱- ۴۲۲)، تفسير الجلالين لمحمد أحمد المحلى و جلال الدين السيوطى (ص ۶۸۷ دار المعرفة- بيروت)، و مختار الصاح لمحمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى (ص ۷۱۶).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۶

هناك فى كل جانب من الرقبة عرقا مستقلا، فيكون هناك عرقان فى الرقبة و ليس عرقا واحدا. و الآية الكريمة قد تجلت فيها ثلاث

صفات عظيمة للّه صلّى اللّه عليه و سلّم دلت على قدرته تعالى فى تصريف إرادته ابتداء بخلق الإنسان و من ثم علمه بالوسوسة التى تحصل فى النفس و أنه تعالى أقرب للإنسان من حبل الوريد حيث نبه صلّى اللّه عليه و سلّم على سعة علمه و كماله بخلق الإنسان و علمه بحاله و ما يخطر بباله و ما يجول فى نفسه. و عليه لا بد أن يكون حبل الوريد هذا ذا أهمية كبيرة. و بما أن اللّه تعالى قد ربط بين وسوسة النفس و بين حبل الوريد فى آية واحدة فإنه من البديهى أن تكون لحبل الوريد هذا علاقة وثيقة بعملية الوسوسة و بالتالى كان لا بد أن يكون حبل الوريد غير الذى أشير إليه سابقا على أنه عرق فى العنق. إن اصل الوسوسة هو الحركة أو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه، و على الأغلب فإن وسوسة النفس (الكلام الخفى الذى يحصل فى النفس) ذات علاقة مباشرة بالذهن و أن الذهن هو المظهر الذاتى، أو الباطنى للدماغ و الذى يقوم بوظائف استرجاعية، فهو عبارة عن جهاز استرجاع ذاتى، و قد اتضح مؤخرا بأن هذا الجهاز هو من المظاهر المركزية للوعى. يتضح مما تقدم أن حبل الوريد هو جزء من أجزاء الدماغ المهمة، و له علاقة بالوعى و اليقظة و الأفعال الإرادية و غير الإرادية و ذو اتصال مباشر و غير مباشر مع معظم أجزاء الدماغ المختلفة. و باعتقادنا فإن حبل الوريد يكون على الأغلب هو جذع الدماغ (Brain Stem)، و اللّه سبحانه و تعالى أعلم بمراده.

إن جذع الدماغ هو جسم عصبى يبلغ طوله حوالى ۵، ۷ سم، يختلف فى تركيبه الأساسى عن الأوعية الدموية التى تتميز جدرانها بخصائص تجعلها متخصصة لنقل الدم و ليس لها بأى حال من الأحوال صفات الحبل لربط أو تثبيت أعضاء أخرى، و هذا بخلاف جذع الدماغ الذى يعتبر وسيطا لربط نصفى كرة المخ مع النخاع الشوكى فتظهر خواص الحبل فيه، و من ناحية أخرى فإنه الوريد الذى يورد أو عن طريقه ترد المعلومات من و إلى الدماغ و عليه فان كلمة الوريد هى تبيان لتوريد المعلومات و الحوافز الداخلة و الخارجة من الدماغ.

و بالإضافة إلى هاتين الصفتين (كونه حبلا و كونه موردا للمعلومات) فإن لجذع الدماغ صفة مهمة أخرى هى احتواؤه على ما يسمى بالجهاز المنشط الشبكى و لهذا الجهاز وظائف عديدة أهمها المحافظة على حالة الوعى فيكون الإنسان فى حالة انتباه

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۷

و تيقظ. و كذلك فإن هذا الجهاز يجعل استلام المحفزات من قبل الدماغ ممكنا و لو قطع الاتصال بين التكوين الشبكى و قشرة المخ لأصبح الشخص فى حالة سبات عميق. فضلا عن علاقة الجهاز الشبكى المنشط بالانتباه، اليقظة، الوعى، النوم و فعاليات الدماغ الكهربائية فإنه يستلم أيضا و يورد المعلومات من الأجهزة السمعية و البصرية و الشمية و لهذا فمن غير الغريب أن اعتبر قسم من العلماء تدمير جذع الدماغ معادلا لموت الدماغ الكامل أو دليلا على ذلك. و إذا رجعنا إلى الآية الكريمة نجد أن السياق مستمر يدل على ارتباط الوسوسة مع حبل الوريد إذ يوجد ارتباط مباشر بين ما يحدث الإنسان به نفسه بصورة خفية و بين ما يمكن أن يتحول من الأفكار و الخواطر إلى فعاليات إرادية حركية و هذه الفعاليات تكون ذات علاقة مباشرة و غير مباشرة مع جذع الدماغ إذ تمر الإيعازات من خلاله إلى باقى أنحاء الجسم. و بذلك فإن اللّه سبحانه و تعالى قد أعلن فى هذه الآية الكريمة أنه يعلم الوسوسة فى وقت حدوثها و كذلك قبل تحولها أو وصولها إلى جذع الدماغ حيث يكون التحول من النية إلى الفعل الحركى فى بداياته و بالتعاون مع بقية أجزاء الدماغ الأخرى، فهو سبحانه و تعالى أقرب إلى الإنسان من هذه المرحلة، و هو سبحانه بذلك أقرب إلى الإنسان من وعيه و حسه و يقظته و انتباهه و أن جميع هذه الفعاليات مهمة لإظهار عملية الوسوسة فكان ذلك الربط الإعجازى فى هذه الآية الكريمة بين عملية الوسوسة و بين حبل الوريد و كل ما يحدث فيه من فعاليات مهمة، و هذه لفتة بديعة أخرى فى مضمون هذه الآية و صدق اللّه إذ يقول سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى (۶) إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى (۷)، (سورة الأعلى). و على ما يبدو فقد تم ذكر جذع الدماغ فى الحديث الشريف الذى ذكره البخارى فى صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال ((يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة مكانها: عليك ليل طويل فارقد، فإذا استيقظ فذكر اللّه انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس و إلا

أصبح خبيث النفس كسلان)) «۱». فى هذا الحديث الشريف دلائل و إشارات بديعة تتعلق بجذع الدماغ منها:

أ- ذكر الحديث قافية الرأس و قافية الرأس من الناحية التشريحية تعنى الحجرة (۱) صحيح البخارى باب التهجد، ۱/ ۱۹۹، دار الفكر- بيروت.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۸

الخلفية للجمجمة التى يقع فيها كل من جذع الدماغ (metS niarB) و المخيخ (mullebereC).

ب- أشار الحديث الشريف إلى شر من شرور الإنسان و هو أنه إذا نام الإنسان عقد الشيطان على رأسه عقدا تمنعه من اليقظة حتى ينام إلى الصباح، و كما معلوم أن اليقظة و الانتباه و الوعى كلها من وظائف الجهاز المنشط الشبكى (sys gnitavitca raluciteR) و الواقع فى الجزء المركزى لجذع الدماغ.

ج- حدد الحديث بأن الشيطان يعقد ثلاث عقد كل عقدة لها مكانها و نحن سوف ندرك مجددا مدى إعجاز هذا الحديث إذا علمنا أن جذع الدماغ يتكون من ثلاث مناطق تشريحية واضحة هى:

۱. alludeM.

۲. snoP.

۳. niarb diM.

و جميع هذه المناطق تحتوى على الجهاز المنشط الشبكى الذى بواسطته يتم الوعى.

د- يتضح من الحديث أن عملية النهوض لأداء صلاة الفجر ممكنة لأنها قرب الصباح إذا ما توفرت الإرادة لذلك، و قد أثبت حديثا أن نوبات النوم العميق تقل قرب الصباح كما سنوضح فى كتاب الأحلام، فلما ذا يتحجج البعض بأن النهوض للصلاة أمر صعب، بينما لا يذكرون أن إرادتهم لمحاربة السهر و النهوض المبكر ضعيفة.

فقد ثبت علميا أن هناك ساعة بيولوجية لدى الإنسان أدق بكثير من الساعات الميكانيكية و الإلكترونية، و هذه تضبط بالعزيمة و الإرادة و التمرين، فتوقظ صاحبها على أمر عزم عليه قبل نومه .. كما أثبت مؤخرا أن المخ البشرى يمتلك «نظاما للإنذار المبكر .. نعم أيها الأخوة فقد كشفت دراسة علمية حديثة أجراها فريق من العلماء بكلية يونيفرستى كولدج» فى لندن النقاب عن أن المخ البشرى يمتلك نظاما للإنذار المبكر يتمكن من تذكر المخاطر التى تعرض لها الإنسان فى الماضى بطريقة لا شعورية. و قال العلماء فى بحثهم الذى نشرته دورية نيتشر العلمية إن إعاقة عمل هذا النظام قد تساعد

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۹

على علاج الألم.

و قال الباحثون إن المتطوعين الذين شاركوا فى الدراسة لم يتمكنوا من تذكر تفاصيل اختبار كانوا يتعرضون خلاله لصدمات كهربائية خفيفة. لكن نشاط المخ أظهر أن عقولهم سجلت هذه المعلومات بطريقة سليمة باستخدام عدد من العمليات الحسابية المعقدة. و أجرى فريق من الباحثين فى قسم و ويلكوم لعلم تصوير الأعصاب بالجامعة اختبارات لمدة نصف ساعة على عقول ۱۴ مريضا باستخدام جهاز مسح وظيفى يعمل بالرنين المغناطيسى. و عرض على المرضى تسلسل من صور لأشكال مجردة تعقبها صدمة كهربية لمدة ثانية واحدة تعادل ألم شكة الدبوس. و عند ما اكتملت الاختبارات لم يتمكن كثير من المتطوعين من تذكر تسلسل الصور. لكن المسح باستخدام الرنين المغناطيسى أظهر أن منطقتين رئيسيتين، هما المخطط البطنى و جزء من قشرة الخ. كانتا تعملان معا على توقع ما سيأتى لا حقا.

يقول الدكتور بن سيمور: تبين لنا كيف يحدد المخ الأحداث التى قد تكون خطيرة أو مؤلمة عن طريق تفسير تسلسل الأحداث و تقييم الاحتمالات. و قال الدكتور بن سيمور الذى قاد فريق البحث «لو عرضنا (على المرضى) شكلا مربعا ثم دائرة تتبعها الصدمة

المؤلمة فإن هذا الجزء من الدماغ قد يتعلم سريعا توقع أن الدائرة تحمل نبأ سيئا».

و أضاف «لكن بعد فترة وجيزة سيدرك هذا الجزء من المخ أن رؤية المربع ليست بالخبر الجيد أيضا لأن الدائرة تتبعه.

و قال الدكتور سيمور «المخ عبارة عن حاسوب حيوى ناجح إذ يحتوى على نحو مائة مليار خلية عصبية تحدد أفكارنا و سلوكياتنا. و أضاف «برغم عدم إدراكنا الدائم لذلك، يحاول المخ التأكد من محافظتنا على أنفسنا من خلال إستراتيجية رياضية معقدة. «و قد تبين لنا كيف يحدد المخ الأحداث التى قد تكون خطيرة أو مؤلمة عن طريق تفسير تسلسل الأحداث و تقييم الاحتمالات»، «تمكن المخ، عن طريق تسجيل هذا التسلسل من الأحداث، من إطلاق أجراس إنذار مبكر فى دماغ المتطوع». و استطرد سيمور قائلا «تخيل أن كلب جارك عضك. ستتعلم سريعا ليس فقط تجنب الكلب، لكن أيضا تجنب أشياء ترتبط به مثل فرائسه المفضلة.» و يأمل سيمور أن يساعد إجراء مزيد من الأبحاث عن المهارات الحسابية للمخ العديد من الأشخاص الذين يعانون من ألم مستمر. و قال سيمور «بالرغم أن الألم المزمن شائع نسبيا، فإنه يظل غير مفهوم و غالبا ما يصعب علاجه».

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۱۰

صورة للمخ مع توضيح للمكان الذى تجرى فيه عمليات الإنذار المبكر و الساعة البيولوجية يتضح مما تقدم ما يلى:

* يعتبر جذع الدماغ الحبل الذى يربط الدماغ بالنخاع الشوكى و يتميز باحتوائه على ارتباطات عصبية واسعة مع جميع المراكز الدماغية و أنه يورد المعلومات من و إلى الدماغ، كما أن له علاقة وثيقة باليقظة و الانتباه.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۱۱

* أشار سبحانه و تعالى فى هذه الآية الكريمة إلى انه أقرب للإنسان من حبل وريده. فهو سبحانه يعلم الوسوسة قبل حدوثها و كذلك فهو أقرب للإنسان من مرحلة تحول الوسوسة و النية إلى فعل مادى حركى و هى لا تزال فى طور الإيعازات العصبية داخل الدماغ، فيكون اللّه جل و علا أقرب للإنسان من وعيه و حسه و انتباهه.

النخاع الشوكى

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۱۲

مقطع فى حبل الوريد أو جذع الدماغ- اللون الأصفر- و بجانبه الوعاء الدموى المفتوح دماغ إنسان مفتوح أثناء عملية جراحية

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۱۳

صورة توضح لك كيفية انتقال الأخبار إلى دماغك عن طريق الحواس ثم الأعصاب المعقدة و المتشابكة* نستنتج من ذلك بأن حبل الوريد هو على الأغلب جذع الدماغ و ليس الوعاء الدموى فى الرقبة كما قال بذلك المفسرون الأقدمون رحمهم اللّه، و أخذ عنهم المفسرون المعاصرون، إذ لم يتوافر لهم ما توصل إليه العلم و الطب الحديث اللذان بواسطتهما أصبحنا نفهم كثيرا من الحقائق القرآنية و الأحاديث النبوية التى لم تكن تفسيراتها معروفة للأجيال السابقة، و اللّه أعلم .. و اللّه تعالى يقول الحق و هو يهدى السبيل.

و من الأمور التى تذكر هنا أن العلم الحديث اكتشف أن الدماغ يقوم بعملية غسيل يومى ذاتى لتجديد حيوية الماء الذى يحمله، كما و أن هذه العملية لها فوائد فى تبريد الأدمغة، و هذه العملية تتكرر يوميا ۵ مرات، و هو نفس عدد الصلوات للمسلمين التى معها يكون الوضوء، فسبحان من جعل نظافة الجسم من خارجه متناسقة مع نظافة الدماغ الذى هو أسمى شيء لدى الإنسان ..

كما و أكدت دراسات حديثة أن إجراء هذه العملية- أى غسيل و تبريد الأدمغة- صناعيا لها فوائد فى إنقاذ الأطفال حديثى الولادة .. فقد أكدت دراسة علمية أن تبريد أدمغة الأطفال حديثى الولادة الذين يعانون من نقص الأوكسيجين قد ينقذ هؤلاء الأطفال من الوفاة

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۱۴

أو التعرض لأضرار صحية بالغة. و كانت تجارب دولية أجريت باستخدام طاقية خاصة تحتوى على ماء بارد للأطفال قد أظهرت نتائج إيجابية. و وفقا للدراسة فإن الأطفال الذين يرتدون تلك الطواقى أقل عرضة للوفاة أو التعرض للشلل. غير أن الطاقية التى قام بإنتاجها

فريق دولى من الباحثين لم تفد الأطفال المصابين بحالات تلف متأخرة.
يذكر أن نقص الأوكسيجين لدى الولادة قد ينجم عن تمزق الرحم، أو سقوط المشيمة فى وقت مبكر، أو تمزق الحبل السرى. و وفقا للتقديرات فإن واحدا من كل ألف طفل فى بريطانيا يعانون من نقص الأوكسيجين لدى الولادة. و يرتفع العدد بصورة كبيرة فى الدول النامية. و حتى الآن لم تنجح أية تدخلات طبية فى تغيير الوضع، إذ عادة ما يتوفى العديد من الأطفال أو يتعرضون للعديد من المشكلات مثل الشلل.
غير أن الباحثين فى مستشفيات كلية لندن الجامعية اكتشفوا أن الضرر لا يلحق بالمخ فور تعرضه لنقص الأوكسيجين. و إنما يحدث الضرر نتيجة لعدد من التفاعلات الكيماوية على مدار عدة ساعات قبل أن يصبح الضرر مستديما. و من ثم فمن المحتمل نظريا التدخل لوقف التفاعلات الكيماوية و تقليص الضرر المستديم. و إحدى الطرق لتحقيق ذلك هو تقليل درجة حرارة المخ. فقد أظهرت دراسات سابقة أن تقليل درجة حرارة المخ بمقدار ۳ إلى ۴ درجات مئوية عن الطبيعى يبدو أنه يوقف العديد من التفاعلات الضارة.
غسيل الأدمغة أنقذت العديد من الأطفال حديثى الولادة و على الرغم من عدم معرفة السبب وراء ذلك، فإنه من المحتمل أن يرجع ذلك إلى تباطؤ التفاعلات الكيماوية و يمنح آليات الإصلاح الموجودة داخل الخلايا فرصة للقيام بعملها. و كان الباحثون فى مستشفيات كلية لندن الجامعية قد تكاتفوا مع فريق من الباحثين فى نيوزيلندا و بريستول و سياتل لتطوير طاقية التبريد للأطفال. و قد أجريت

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۱۵

الدارسة على ۲۳۴ طفلا- من جميع أنحاء العالم. و حصل نصف الأطفال على علاج عن طريق طاقية التبريد بينما خضع النصف الآخر للرعاية المركزة.
و فى إطار البحث تم تبريد أدمغة الأطفال لمدة ۷۲ ساعة ثم تدفئتها تدريجيا و منحهم رعاية طبية تقليدية. و تابع الأطباء حالة الأطفال لمدة ۱۸ شهرا. و قد أظهر الأطفال الذين خضعوا للتبريد تحسنا ملحوظا. فقد تراجعت نسبة الوفيات كما تراجعت حدة الشلل الذى أصاب البعض منهم لدى بلوغهم سن ۱۸ شهرا. غير أن الأطفال الذين يولدون بإصابات متأخرة، ۲۰٪ من الحالات، لم يستجيبوا للتبريد. و أثناء التجربة حصل الأطفال على العلاج بالتبريد بعد ست ساعات من الولادة غير أن هناك أدلة ترجح فعالية طريقة العلاج بالتبريد فى مراحل لاحقة. و وفقا لنتائج الدراسة فإن واحدا من كل ۶ إلى ۸ أطفال قابلين للعلاج بطاقية التبريد نجا من الموت أو من التلف المخى البالغ. و قد أعرب البروفيسور جون وايت من مستشفيات كلية لندن الجامعية عن تفاؤله بنتيجة البحث.
و يجرى مجلس الأبحاث الطبية فى الوقت الراهن تجربة كبرى لتبريد الجسم بالكامل. و قال وايت إنه من الضرورى أن ينهى المجلس تجربته لتحديد أى الطريقتين أكثر فعالية. و أضاف أنه هناك المزيد من الحاجة لمعرفة درجة الحرارة و مدة العلاج المثالية قبل طرح التبريد كطريقة علاج تقليدية.

۲- الناصية:

اشارة

قال تعالى فى هذا الموضوع: كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (۱۵) ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ (۱۶)، (العلق).
الناصية هى مقدمة الرأس و قد وصفها اللّه سبحانه و تعالى بالكذب و الخطأ مما يدل على أنها مسئولة عن سلوك و تصرفات الإنسان فالفص الأمامى أو الجبهى (Frontal lobe) مسئول عن شخصية الفرد و هو المتحكم فى تصرفاته و أفعاله من صدق و كذب و

الذى يمكن بالهيمنة عليه السيطرة على الشخص نفسه و بذلك تكون القشرة الأمامية هى الموجه لبعض تصرفات الإنسان و التى تنم عن شخصيته و هى التى تميز بين هذه الصفات و هى التى تحث الشخص على المبادأة بالخير أو الشر.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۱۶

شكل يوضح الدماغ: لاحظ الشكل العام عبارة عن رجل ساجد للّه تعالى، و الناصية هى محل السجود قام الأستاذ الدكتور محمد يوسف سكر- أستاذ علم وظائف الأعضاء بجامعة الملك عبد العزيز بجدة- بإجراء بحث معمق فى موضوع الناصية هذا و نشره فى مجلة الإعجاز السعودية، و قد توصل فيه إلى أن النص القرآنى يغوص فى أعماق التركيب التشريحى للدماغ البشرى، و إليكم التفاصيل:

۱- المعنى اللغوى:

بالعودة إلى اللغة و التفاسير فإن الناصية هى عظام مقدمة الرأس فى منطقة الجبهة، و قد وصفت وصفا حقيقيا بالكذب و الخطأ، أى هى كاذبة فى قولها، خاطئة فى فعلها. هذا يعنى أن القدرة على التحكم فى الأفعال بجعلها خطأ أو صواب هو وصف لازم من أوصاف هذه الناصية، و هذا الوصف و إن كان من أوصاف الناصية إلا أنه لا يوصف بهذه الأوصاف على الحقيقة، لأنه جزء عظمى من الرأس.

فعند دراسة التركيب التشريحى لمنطقة أعلى الجبهة من الرأس وجد أنها تتكون من أحد عظام الجمجمة الذى يعرف بالعظم الجبهى (Frontal bone)، و يستتر خلفه محميا به أحد فصوص المخ المسمى بالفص الجبهى (Frontal lobe)، و بهذا

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۱۷

يمكن القول أن الناصية كما تطلق على العظم الجبهى فإنها تطلق أيضا على ما يستتر خلفه من الفص الجبهى للدماغ، فهو الذى يوصف بهذه الأوصاف وصفا حقيقيا، و يتحقق العمل فيه بظاهر النص من غير حاجة إلى تأويل أو مجاز. إن تعبير إسناد الوصف أو الفعل لشىء و المراد ما فيه هو تعبير شائع فى النص القرآنى، كما فى قوله تعالى وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها وَ الْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنا فِيها وَ إِنَّا لَصادِقُونَ (۸۲)، (يوسف: ۸۲)، فلا يوجه السؤال إلى المبانى فى القرية أو إلى ذوات العير، و إنما إلى الناس فى داخل المبانى و إلى أصحاب العير.

و كذلك إذا ما عدنا إلى آيات و أحاديث أخرى تؤيد المعنى كما فى قوله تعالى:

... ما مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِناصِيَتِها ...، (هود: من الآية ۵۶)، و قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى الحديث (.. ناصيتى بيديك ..) يؤكد هذا المعنى حيث تشير النصوص إلى أن الجزء المختص بقيادة الدواب كلها و توجيهها- و على رأسها الإنسان- يخضع لهيمنة اللّه تعالى و سلطانه، و هذا الجزء لا بد أن يكون الدماغ حيث هو العضو المختص بتسيير شئون الدواب و السيطرة على تصرفاتها، و حيث إن النصوص سمت هذا الجزء بالناصية فلا بد أن يشمل الجزء الأمامى من الدماغ الذى يقع خلف مقدمة الرأس.

و بناء على ما تقدم فإن مفهوم النص يتيح لنا أن نقول بأن الناصية بما تحوى من الفص الجبهى للدماغ هى مكان القيادة و التوجيه للسلوك و التصرفات الإنسانية.

كما أن حرية الاختيار للإنسان كما يفهم من النص بهذه الناصية أى بالفص الجبهى للدماغ، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يمكن أن يتحكم فى سلوكه و تصرفاته من أقوال و أفعال، فيكذب أو يصدق أو يفعل صوابا أو خطأ، لذلك قال رب العزة فى الآية المباركة: كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (۱۵)، (العلق: ۱۵)، أى لئن لم ينته عما يقول أو يفعل و ينزجر، لنأخذن بناصيته أخذا عنيفا، و ربما يشير هذا التهديد بقطع أو فصل الناصية، لأن السفع هو الأخذ أو الجذب الشديد.

۲– المعنی العلمی التشریحی:

اشارة

یظهر العلم الحدیث عدة حقائق تمیز ناصیة الإنسان و دماغه بالمقارنة مع حیوانات أخری یمکن تلخیصها بالنقاط التالیة:

أ– نسبة وزن دماغ الإنسان إلی وزن الجسم هی الأضخم:

یمتلک الإنسان أکبر نسبة وزن للدماغ إلی وزن الجسم مقارنة مع بقیة الحیوانات، أما کوزن مطلق للدماغ فإن الحوت و الفیل و خنزیر البحر لها أکبر وزن للدماغ.

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۱، ص: ۱۸

شکل یوضح نسبة وزن الدماغ إلی وزن الجسم لکائنات مختلفة و منها الإنسان

ب– الفص الجبهی أکبر فصوص الدماغ:

فهو أکبر من بقیة الفصوص الأخری، الجداری، الصدغی، القفوی، المخیخ، لاحظ الأشکال القادمة.

ت– قشرة الدماغ هی الوزن و الحجم الأکبر فیه:

یتکون الجزء الأکبر من حجم و وزن دماغ الإنسان من المخ (murbereC)، و بالأخص قشرة المخ (xetroC larbereC)، و التی یمثل الجزء الأکبر منها مناطق الربط الثلاثة منطقة الربط الجداریة الصدغیة القذالیة و منطقة الربط الصدغیة و منطقة الربط الجبهیة. و تتکون النسبة الکبری من مناطق الربط هذه من قشرة الفص الجبهی و امتدادها المباشر من قشرة المنطقة قبل الحرکیة (aera rotomerP)، و قشرة المنطقة الحرکیة الإضافیة (aera rotom yratnemelppuS).

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۱، ص: ۱۹

شکل یوضح القشرة السطحیة للدماغ و کبرها من حیث الحجم و الوزن شکل یوضح فصوص الدماغ و ترکیبته الخارجیة لاحظ أن الفص الجبهی أو الناصیة هو أکبر الفصوص

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۱، ص: ۲۰

ث– امتلاک البشر لأکبر قشرة مخ مقارنة ببقیة الحیوانات خصوصا قشرة الفص الجبهی:

یختلف دماغ الإنسان عن دماغ الحیوان من الناحیة الشکلیة، حیث تتسع مساحة قشرة المخ، و خاصة قشرة الفص الجبهی کما یزداد حجمه. أما لدی معظم الحیوانات فیتکون الفص الجبهی إلی حد کبیر من قشرة الشم و التی لا تعدو لدی الإنسان أن تمثل جزءا صغیرا بالمقارنة مع الأجزاء الکبری من قشرة الفص الجبهی.

شكل يوضح حالات مختلفة لأدمغة الحيوانات كالأسماك و الزواحف و الطيور و أكثر اللبائن تطورا بعد الإنسان- الكلاب و القرود- أما بالنسبة لقشرة الدماغ الحوفية التى تتحكم فى الوظائف الغريزية فهى فى الحيوان أكبر منها فى الإنسان، كما أن هناك ميزة شكلية أخرى هامة تتعلق بحجم قشرة

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۲۱

الدماغ الحوفية و التى تتحكم بالوظائف الحركية الغريزية أو الانعكاسية مقارنة بقشرة المخ الحديثة، و هذا يقدم لنا الدليل على أن التحكم فى الوظائف الحركية لدى الحيوان يكون إما انعكاسيا أو موجها بالغرائز، أما فى الإنسان فتخضع وظائفه الحركية و تصرفاته للوعى و الإدراك الموجه من قبل مساحة قشرة المخ الشاسعة.

ج- الفص الجبهى مسئول عن الألفاظ المنطوقة:

إن التحكم فى اختيار و تكوين الكلمات استعدادا للنطق بها تتم فى عدة مناطق منها منطقة فيرنيكى و منطقة بروكا و كذلك منطقة التلفيف الزاوى. إذ تختار الألفاظ فى منطقة التلفيف الزاوى، ثم تكون الألفاظ أو الكلمات المنطوقة فى منطقة بروكا (aera s,acorB) فى الفص الجبهى، الواقعة أمام الجزء الأسفل من القشرة الحركية (xetroC rotoM yramirP)، التى تتحكم فى الأعضاء المتعلقة بالنطق، و هذا يدل على أن مفتاح التحكم فى الكلمات المنطوقة هو فى الفص الجبهى للمخ، أى فى الناصية، لذلك فليس كل الألفاظ التى ترد إلى الذهن تظهر على اللسان و ذلك لمرورها على مركز تكوين الكلمات فى الناصية، لذا فإن الإنسان محاسب و مسئول عما ينطق به لسانه طالما يستطيع التحكم فى اختيار الألفاظ و أعضاء النطق و على رأسها اللسان، و قد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ (٩)، (البلد)، كما و أشار رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إلى هذا المعنى بقوله (.. فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا ..) الحديث. و الشكل أدناه يوضح المناطق التى تمت الإشارة إليها و هى مناطق التحكم بالنطق و الألفاظ الموجودة فى القشرة الحركية من الدماغ.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۲۲

القشرة الحركية شكل يوضح مناطق اختيار و تكوين الكلمات استعدادا للنطق بها

ح- التوجيه الإرادى للنظر باتجاه محدد يقع فى الفص الجبهى:

يوجد فى الفص الجبهى أيضا ما يماثل منطقة بروكا من تلفيف القشرة الحركية و هى منطقة تختص بتحريك العينين و منطقة فوقها تختص بتحريك الرأس فى حركة دائرية، و كلتا المنطقتين توجه و تركز النظر فى اتجاه معين وفق حركة إرادية، و هاتين المنطقتين توجهان قشرة الحركة الأولية (xetroC rotoM yramirP) لإدارة الرأس و تركيز العينين فى اتجاه محدد. إذن فالتوجيه الإرادى للنظر يقع فى الفص الجبهى أو الناصية، و هذا يتوافق مع ما أشار إليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى حديث المؤاخذة على النظر المحرم للمرأة الذى أخرجه الترمذى (ج ۵/ ۱۰۱) و هو حديث حسن غريب، حين قال صلّى اللّه عليه و سلّم لسيدنا على رضى اللّه عنه: (يا على لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى و ليست لك الآخرة). و فى رواية حديث الطحاوى فى شرح معانى الآثار (ج ۳/ ۱۵) و هو حديث حسن قال (النظرة الأولى لك و الآخرة عليك). فالأولى فجائية لم يكن فيها قرار من الدماغ، بينما الثانية جاءت عن قصد و قرار إرادى من الدماغ و إنما تقع المؤاخذة على هذه النظرة لوقوع الإرادة فيها ... و الشكل أدناه يوضح هذه التفاصيل.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۲۳

الفص الجبهى أو الناصية هى المسئولة عن السلوك الإنسانى أى الأفعال و الأقوال:

سبق قرآنى

خ– التحكم الإرادى لحركة جميع أجزاء الجسد يقع فى الفص الجبهى:

أثبتت البحوث الحديثة أن المنطقة الحركية الإضافية و المنطقة قبل الحركية، تعملان باعتبارهما منشئتان للوظيفة الحركية و تخزنان برامج الحركة التى تعتبر جزءا من التخطيط الخاص، بتحكم مجموعة معينة من العضلات على القيام بحركة طوعية، لذلك فإنه يمكن الاستنتاج أنه كما هو الحال فيما يتعلق بالنطق و اختيار الألفاظ و تحريك الرأس و العينين، فإن قشرة الفص الجبهى أو الناصية هى المختصة بالتحكم الواعى للقيام بعمل طوعى أو عدم القيام به، مما يتطلب تحريك بعض أو كل أجزاء الجسد.

د– التناسق بين حركة النطق و حركات الجسم المختلفة يقع فى الفص الجبهى:

إن احتواء الفص الجبهى للمنطقة الحركية الإضافية و المنطقة الحركية الأولية تشير إلى التناظر بين منطقة بروكا المسئولة عن السيطرة على النطق و كما أسلفنا و مناطق تحريك الرأس و العينين، و بين المنطقة ما قبل الحركية، المتعلقة بالسيطرة على

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۲۴

الوظائف الحركية الأخرى و التى تؤدى إلى التصرفات الطوعية لسائر أعضاء الجسد مما يؤكد التناسق بين حركة النطق و النظر و حركات الجسم المختلفة يقع فى الفص الجبهى للدماغ أو الناصية.

ذ– السلوك و التصرف من مسئوليات الفص الجبهى:

و لتأكيد هذا الاستنتاج نجد أن عدم وجود معظم قشرة الفص الجبهى فى الحيوانات يظهر أثره فى السلوك الحيوانى، فحاسة الشم تثير السلوك الجنسى مباشرة و كذلك السلوك الغذائى و النشاط الحركى المتعلق بالوظائف. أما بالنسبة للإنسان فلا بد من اعتبارات و معلومات تم تخزينها و ترسيخها مسبقا فى وظائف قشرة الدماغ خاصة مناطق الربط، بالإضافة إلى الوظائف الغرائزية، قبل أن يقع السلوك الجنسى أو الغذائى أو أى سلوك آخر، مع ما يتبع من أعمال حركية أخرى بالأيدى أو الأرجل أو أى أجزاء أخرى من الجسم كحركة العين للرؤيا، و حركة اللسان للنطق. و هكذا يكون الخيار بالقيام بعمل أو عدم القيام به مركزا فى مناطق الحركة الإرادية فى الفص الجبهى ذو المساحة الشاسعة من قشرة الدماغ خاصة فى مناطق الربط فيه.

معلوم أن للإنسان سلوك غريزى و سلوك مكتسب، و يمكن من باب التشبيه العصرى أن نصف السلوك الغريزى بأنه كالبرامج الداخلية التكوين للحاسوب التى تحركها منبهات محددة، بينما السلوك المكتسب يمكن وصفه بأنه كالبرامج الخارجية للحاسوب. فالسلوك الغريزى عند الحيوانات مثلا يثار بالحواس كما هو الحال فى حاسة الشم التى تثير السلوك الجنسى أو الغذائى كما أسلفنا، و سبب ذلك يعود لكبر قشرة الدماغ الحوفية مقارنة بقشرة المخ الحديث، و هذا يثبت لنا أن التحكم فى الوظائف الحركية لأعضاء جسم الحيوان يكون انعكاسيا أو موجها بالغرائز إلى حد كبير. و قد أثبتت بحوث كثيرة دقة هذا التوجه، كما و أثبت عدة باحثين أن المعلومات الغريزية هى العامل الموجه الرئيسى لسلوك الحيوانات.

أما السلوك المكتسب فهو السلوك الذى توجهه معلومات مكتسبة من البيئة، و هذا النوع عند الإنسان هو الأكثر لأن مناطق الربط فى

قشرة المخ البشرى لها سيطرة واضحة و دور بارز فى توظيف المعلومات الحسية و بالتالى فى إمكانيات التعلم الهائلة لدى البشر. فهناك كم هائل من المعلومات المبرمجة و التى يتم اكتسابها إما من خلال الخبرات

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۲۵

العشوائيـة المسـتمدة من البيئة، أو من خلال عملية التربية و البرامج الدراسـية. و تعتبر مناطق الربط الجداريـة- الصدغيـة- القذالية و التى توجد غالبا فى نصف المخ السائد هى المختصة بعملية تعلم اللغات عبر حواس السـمع و البصر، ثم تنتقل هذه المعلومات المكتسبة من الألفاظ و سائر العلاقات المرئية من خلال التلفيف الزاوى و الحزمة المقوسة التى تقع تحته إلى منطقة بروكا فى الفص الجبهى، و التى تقوم بتكوين الكلمات المنطوقة، كما و تنتقل الاسـتجابة النطقية عن طريق الحزم المقوسة من منطقة فيرنيكى الواقعة فى أعلى التلفيف الصدغى و المسئولة عن فهم المعلومات السمعية و المرئية إلى منطقة بروكا أيضا الواقعة أمام الجزء الأسفل من القشرة الحركية، و التى تتحكم فى الأعضـاء المتعلقـة بالنطق- كما أشـرنا آنفا-. و هكـذا ترون أيها الأخوة الأكارم أن جميع المعلومات المكتسـبة و المفهومة بالتعلم بواسطة الحواس كالسمع و البصر و الشم و التحسس بالجلد إلى مركز التحكم النهائى فى الفص الجبهى لاستخدامها بالنطق فى الألفـاظ المناسـبة. و على هـذا الأساس فالسـلوك الإنسانى ليس كالسـلوك الحيوانى توجهه الغرائز فقط، و إنما تسـيطر عليه و توجهه المعلومات المكتسبة من البيئة و المحيط، لذلك فالسلوك الإنسانى قابل للتطوير و التغيير، و يمتلك الإنسان المقدرة على إحداث هذا التغيير فى سلوكه بناء على خصوصيته فى اختيار معلوماته و اكتساب خبراته، فإن هو اختار بيئة فيها كلام حسن و عمل طيب و تصرف موزون سـيكون كل ذلك معكوسا فى تصـرفاته و سلوكه و اختياراته، و إن هو اختار العكس فستكون تصرفاته وفقا لما اختاره هو من مجتمع و بيئة.

كل هـذه الحقائق العلميـة التى توصل إليها علماؤنا اليوم بالمراقبة و الفحص ثبتها القرآن الكريم و السـنة المطهرة فى آيات و أحاديث أكثر من أن تحصى، لنستمع:

۱. فى مسألة أن الأشـياء المسـموعة و المبصرة و المدركة بالعقل تصب كلها فى محل التحكم و اتخاذ القرار عند البشر و بالتالى تنبنى عليه مسـئولية الفعـل، و هو معنى قوله تعـالى: وَ لاـ تَقْفُ مـا لَيْسَ لَـكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَـرَ وَ الْفُؤادَ كُـلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا (۳۶)، (الإسراء: ۳۶).

۲. فى مسألة أن للإنسان المقدرة على التحكم فى تغيير نفسه: ... إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۲۶

بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ ...، (الرعد: من الآية ۱۱).

۳. على الإنسـان أن يختـار البيئـة الصالحـة و الصـحبة الصالحـة كى يكون إنسانـا صالحـا: وَ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِى اتَّخَـذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (۲۷) يـا وَيْلَتى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِـذْ فُلاناً خَلِيلًا (۲۸)، (الفرقـان). و يقـول رسـول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم فى الحـديث الذى يرويه الترمذى فى الزهد (رقم ۲۳۰۷) عن أنس أنّه قال جاء رجل إلى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم فقال يا رسول اللّه متى قيام السّاعـة فقام النّبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم إلى الصّـلاة فلمّا قضـى صـلاته قال أين السّائل عن قيام السّاعة فقال الرّجل أنا يا رسول اللّه قال ما أعـددت لها قال يا رسول اللّه ما أعـددت لها كبير صـلاة و لا صوم إلّا أنّى أحبّ اللّه و رسوله فقال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم المرء مع من أحبّ و أنت مع من أحببت فمـا رأيت فرح المسـلمون بعـد الإسـلام فرحهم بهـذا)، قـال أبو عيسـى هـذا حديث صحيح .. و فى سنن أبى داود فى الأدب (رقم ۴۴۶۲) عن أنس بن مالك قال رأيت أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فرحوا بشـىء لم أرهم فرحوا بشـىء أشدّ منه قال رجل يا رسول اللّه الرّجل يحبّ الرّجل على العمل من الخير يعمل به و لا يعمل بمثله فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم (المرء مع من أحبّ).

۴. كما أن القرآن الكريم قـد ثبت حقيقـة أن الفص الجبهى أو الناصـية يتـدخل فى سـلوك الإنسان المكتسب من البيئة و المحيط من

تعلم و فهم باستخدام الحواس، فإنه ثبت حقائق مهمة أخرى مفادها أن الإنسان عليه أن لا يذعن للسلوك الغريزى إلا فى الحلال، و يجعل عقله و إرادته مسيطرا على هواه: وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى (۴۰) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى (۴۱)، (النازعات) ...

وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها (۷) فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها (۸) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها (۹) وَ قَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها (۱۰)، (الشمس).

و قد تمت دراسة قشرة الدماغ و خصوصا القشرة الحركية فى الفص الجبهى فى أثناء عمليات التفكير و النطق و استماع الموسيقى و باستخدام تقنيات متطورة كما توضح الأشكال أعلاه.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۲۷

كل هذه التفاصيل لم تعرف إلا فى النصف الثانى من القرن العشرين، و القرآن الكريم ذكره قبل أكثر من أربعة عشر قرنا، أ ليس هذا دليلا ناصعا على أنّ هذا القرآن هو كلام اللّه العالم بمكونات خلقه و الذى أنزله على رسوله الكريم صلّى اللّه عليه و سلّم؟! ..

فحص قشرة الدماغ بواسطة جهاز:

(- TEP- yhpargomoT noissimE nortisoP) لحالات الارتخاء - أعلى اليسار - و بعض حالات الانفعالات العاطفية كسماع الموسيقى، و يتبين من الشكل توزيع الدم (اللون الأحمر) على الخلايا الدماغ للحالات المختلفة.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۲۸

شكل لصورة بالرنين المغناطيسى iRM لدماغ الإنسان طبع عليها صورة أخرى بالنظائر المشعة توضح تدفق الدم إلى أجزاء محددة من قشرة المخ فى المقدمة و المؤخرة و الوسط عند قراءة الكلمات و النطق و التفكير ستكون لنا تفاصيل أوسع فى موضوع المخ و فروق الدماغ بين الرجل و المرأة فى كتاب الاجتماع من هذه السلسلة.

۳- الإحساس:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللَّهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً (۵۶)، (النساء: ۵۶).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۲۹

هذه الآية تخبرنا أن الكفار حين يعذبون فى النار فإن جلدهم يستبدل كلما احترق و السبب فى ذلك أن الجلد يحوى منطقة المستلمات الحسية srotpeceR omrehT) srotpeciconN) بالإضافة إلى الأعصاب الأخرى المسئولة عن الإحساس بالألم (خاصة الحرارة) و تقل كثيرا فى طبقات تحت الجلد كالعضلات و الألياف. و كما هو معروف طبيا فى حالة الحروق العميقة (nruB ۳ eergeD dr) التى يفقد فيها الجلد الإحساس بالألم على العكس فى حالة الحروق السطحية (۱ nruB eergeD ts) التى تكون مؤلمة جدا لأن المراكز الحسية موجودة فى الطبقة السطحية للجلد (simredipE).

و لذلك فإن استبدال الجلد التالف بآخر سليم يؤدى إلى إعادة مراكز الألم و الإحساس فيها فتزيد من شدة العذاب فى جهنم.

يقول اللّه تعالى: ... وَ سُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ ...، (محمد: من الآية ۱۵). لم يقل اللّه عزّ و جلّ (فبدلناهم أمعاء غيرها) كما قال فى شأن الجلد ... كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها ...، (النساء: من الآية ۵۶). فإذا شرب ماء حارا فإنه لم يتألم لوجود الطبقة المخاطية فى المعدة و الأمعاء، فإذا أزيلت هذه الطبقة و دمرت و وصلت المواد المخدشة و الماء الحار إلى الأجزاء الحساسة فى التجويف البريتورنى (ytivaC laenotireP) أحس الإنسان بآلام شديدة كما فى حالة القرحة (reclU) و لهذا لا يبدل اللّه أمعاءهم زيادة فى تعذيبهم و التنكيل بهم. فهل كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم أستاذا فى التشريح، بل هو الحق من اللّه و صدق اللّه و رسوله.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۳۰

۴- الحواس:

ذكر القرآن الكريم كل حواس الإنسان فى عدة آيات، بل و أنه قدم السمع على البصر، و التسلسل فى القرآن يفيد الترتيب و تقديم الأمور حسب قدمها، و قد أثبت حديثا أن الإنسان بعد الولادة يسمع قبل أن يرى، بل و أنه يسمع و هو فى بطن أمه.

كما و ذكر حاسة الذوق و الشم و اللمس فى مواضع عدة من القرآن و السنة المطهرة:

أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِساناً وَ شَفَتَيْنِ (٩)، البلد .. و قد تقدم من أمر السبق القرآنى فى السمع و البصر فى كتب سابقة من هذه السلسلة- راجع كتاب الطب و كتاب الصيدلة-.

إن تدبرا بسيطا فى آيات اللّه فى موضوع الدماغ و الحواس ليجعلك أخى الكريم حائرا أمام وصف عظمة الخالق، شاكرا له نعمائه التى لا تحصى.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۳۱

الفصل الثانى علم النفس و السلوك

۱- النضج العقلى و الذهنى:

يقول اللّه تعالى: وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلى والِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)، (الأحقاف: ١۵). بلغ أشده: قال ابن كثير فى تفسيره أى تناهى عقله و كمل فهمه و حلمه. قال العلماء و لذلك لم يبعث نبى قبل الأربعين.

P'notyuG(.senilces yllaudarg egdelwonK derots fo tnuoma latot eht ega taht. ٣٠٧(((. dnoyeB .emit siht ta kaep a gnihcaer'efil sih fo sraey ٣٩ tsrif eht gnirud desaercni yllareneg)dnim snosrep a ni egdelwonK derots fo ytitnauq llarevo eht taht swohs tset lacigolohcysP
)

إن الاختبارات السايكولوجية بينت أن المعرفة المخزونة فى ذاكرة الإنسان تزداد عموما فى ال ۳۹ سنة الأولى من حياته، و تصل أعلى مستوى لها فى هذه الفترة، و فيما بعد ذلك العمر تقل كمية الكلية من المعرفة المخزونة تدريجيا، أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً (٨٢)، (النساء: ٨٢).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۳۲

الدماغ البشرى و الإيعازات المسيطرة على السلوك

۲- المعالجة النفسية القرآنية للفرح و الحزن:

عالج القرآن الكريم النفس البشرية أيما علاج عجز عن مجاراته كل علماء النفس الذين هم بشر أصلا، و كان أهم هدف لنزوله هو الإنسان ظاهرا و باطنا، فكان و لا زال و سيبقى بحق العلاج النفسى الأول للبشر إذا ما اتبعوه، و سنقتطف زهرة واحدة من زهور هذه المروج الكبيرة التى لا نهاية لها.

يقول اللّه تعالى: ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (۲۲) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ (۲۳)، (الحديد) .. يقول الدكتور دلاور محمد صابر:

يعالج القرآن الكريم مرضا فى النفوس قد يحول دون الجهاد و البذل فى سبيل اللّه، و أن ما قدر لا بد أن يكون، و إذا انفق المسلم عن سعة واثقا أن فى السماء رزقه، و أن

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۳۳

الجود لا ـ يفقر و أن الإقدام لا ـ يقتل إذ الأمر كله للّه. فما أصاب من مصيبة فى الأرض أيا كان نوعها إلا كانت فى كتاب من قبل أن يخلقها اللّه تعالى و تظهر للعيان، فالدنيا رواية تظهر على الخيالة. فالمؤمن عند المصيبة يصبر و مع الغنيمة يشكر، و الفرح و الحزن المنهى عنهما فى الآية هما اللذان يتعدى فيهما إلى الحد الذى يؤدى إلى عكس المطلوب من التصرف و السلوك البشرى. فالحزن و الفرح هما عاملان نفسيان عاطفيان (srotcaf lanoitomE) تؤثران تأثيرات مختلفة على الإنسان. و قد أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة بأن للفرح و الحزن تأثيرات سلبية على قلب الإنسان، لذا يوصى الأطباء بعدم إخبار الأنباء السارة و المحزنة إلى المصابين بأمراض القلب .. كما و أشارت البحوث الطبية إلى أن العوامل النفسية كالفرح و الحزن قد تسبب أحيانا استهلاك كمية كبيرة من الأغذية دون وعى مما يؤدى إلى السمنة و التى لها مضاعفات كثيرة و منها المضاعفات الحركية التى تؤدى إلى التهاب المفاصل فى عظام الركبة و العمود الفقرى، و كذلك العضلات تضعف فى منطقة البطن و هى التى تساند الأحشاء و عضلات الرجل و يقل انقباضها مما يؤدى إلى تكون فتوق البطن و تتمدد الشرايين و يتأثر التنفس بفعل زيادة الدهن تحت الحجاب الحاجز و حول الصدر.

و منها أيضا مضاعفات الدورة الدموية أى زيادة عمل القلب بسبب الوزن الزائد و زيادة الحمل عليه مما يؤدى إلى زيادة نسبة الإصابة بتصلب الشرايين و الذبحة الصدرية. ثم مضاعفات التمثيل الغذائى الذى يختل نتيجة السمنة المفرطة مما يؤدى إلى مرض السكر و ارتفاع نسبة الكولسترول فى بلازما الدم و الذى يؤدى بدوره إلى الجلطة و تكوين تجمعات عضوية كولسترولية، فحصوة المرارة تختلف عن حصوة الكلى الكلسية فى حويصلة الصفراء.

و أخيرا المضاعفات النفسية للسمنة التى تبعد الإنسان عن مظهر الأناقة و الرشاقة و تكون حركته أبطأ و استجاباته الذهنية أقل نشاطا أيضا. و فى هذا كله يختصر لنا اللّه تعالى بقوله سبحانه: ... وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (۳۱)، (الأعراف: من الآية ۳۱)، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم: ((ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه حسب المسلم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه و ثلث لشرابه و ثلث

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۳۴

لنفسه)) «۱» .. و قد ذكرنا هذا الموضوع فى مبحث الاستشفاء بالصلاة فى كتاب سابق من هذه السلسلة.

۳- الغضب و العلاج الإسلامى:

الغضب أحد الانفعالات الرئيسية التى زود اللّه سبحانه و تعالى بها الإنسان من أجل أن يحافظ على كيانه النفسى .. و يعرف الغضب بأنه انفعال غير سار ينتاب الإنسان، و ينشأ عن فسيولوجية داخلية و مظاهر جسمانية خارجية تعبر عن درجة هذا الانفعال، و يؤثر الغضب على الجسم سلبا أو إيجابا و ذلك حسب نوعه و درجة حدته.

و يمكن تقسيمه إلى نوعين رئيسيين:

۱. غضب معتدل و صحى، و هو الغضب الذى لا ـ يذهب بصواب الإنسان بل يخضع لسيطرته فلا يتمادى فيعتدى، و هذا النوع من الغضب رفيق الإنسان فى حياته ففيه الحماية للدين و الوطن و العرض و الحقوق.

۲. الغضب الجامح، و فيه يتحول الغضب كانفعال من اعتداله الصحى الحميد إلى تطرف مرضى خطير و خبيث و شحنة ناسفة و طاقة

هائلة توجه إلى التحطيم و التخريب. و هذا النوع من الغضب يتغلب على الإنسان، فيفقد صوابه و عقله و بصيرته.

و عند الغضب تعترى الجسم أعراض و علامات تتلخص فى شحوب و اصفرار لون الوجه و الأطراف و اتساع حدقة العين و انتصاب شعر الرأس، و تصبب العرق الغزير، و تسارع دقات القلب، و ازدياد ضغط الدم. و تعزى ظهور هذه الأعراض إلى تأثير هرمون مهم يسمى (الأدرينالين) أو ما يمكن أن نطلق عليه مجازا بهرمون الغضب، و هو يفرز من قبل الغدة الكظرية.

أما الأمراض التى يمكن أن يسببها الغضب الجامح أى النوع الثانى من الغضب فهى كثيرة و خطيرة نجملها بما يلى:

۱. أمراض القلب و جهاز الدوران، و منها: (۱) العلم و الإعجاز، د. دلاور محمد صابر، ص ۲۶- ۲۹، بتصرف. و الحديث أخرجه النسائى و ابن ماجة و الترمذى و الحاكم، السنن الكبرى، ۴ / ۱۷۸، رقم (۶۷۷۰)، سنن ابن ماجة، ۲ / ۱۱۱۱، برقم (۳۳۴۹)، سنن الترمذى، ۴/ ۵۹۰، رقم (۲۳۸۰)، و المستدرك، ۴/ ۳۶۷، رقم (۷۹۴۵).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۳۵

* الذبحات الصدرية المتكررة نتيجة زيادة سرعة ضربات القلب و زيادة حاجة عضلة القلب إلى أوكسجين، و عند تكرار هذه الذبحات فإنها تؤدى إلى حدوث جلطات القلب القاتلة فى كثير من الأحيان.

* زيادة ترسب الدهون و الكوليستيرول على الجدار الداخلى للشرايين و بالتالى الإصابة بتصلب الشرايين و جلطات القلب و المخ.

۲. أمراض الجهاز الهضمى، و منها:

* قرحة المعدة و الاثنى عشرى، إذ يؤدى الغضب الجامح إلى زيادة إفراز حامض الهيدروكلوريك فى المعدة و بالتالى تخرش جدران المعدة و خروج الدم تبعا لذلك فتشكل مكانا متقرحا بشكل مزمن، و الذى يعنى ببساطة الإصابة بمرض القرحة.

* القولون العصبى و الإمساك المزمن، و يرجع إلى تقلص المستقيم و الأمعاء بسبب الغضب المستمر.

۳. أمراض أخرى عامة، و منها:

* مرض السكر أو السكرى.

* أمراض نفسية كالتوتر و القلق و الأرق و الأحلام المزعجة.

* فقدان الشهية و نقص الوزن و الهزال عند الكثيرين.

لنتدبر كيف عالج الإسلام هذا الداء النفسى الخطير، فقد سبق الإسلام العلم الحديث فى تقسيمه للغضب على هذا المنوال الذى ذكرنا. فقد ذكر لنا أهل السنن أن النبى صلّى اللّه عليه و سلّم حذر من الغضب الجامح أيما تحذير، بينما كان عليه الصلاة و السلام يغضب لدين اللّه غضبا معتدلا و لا يغضب لنفسه الغضب الجامح. فقد روى الإمام البخارى فى صحيحه (الإيمان ۱۹) عن عائشة قالت كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم إذا أمرهم أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا إنّا لسنا كهيئتك يا رسول اللّه إنّ اللّه قد غفر لك ما تقدّم من ذنبك و ما تأخّر فيغضب حتّى يعرف الغضب فى وجهه ثمّ يقول (إنّ أتقاكم و أعلمكم باللّه أنا) ..

كما روى البخارى (كتاب تفسير القرآن) عن سيدنا ابن عبّاس عن قوله تعالى ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ قال الصّبر عند الغضب و العفو عند الإساءة فإذا فعلوه عصمهم اللّه و خضع لهم عدوّهم كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ .. كما و أفرد البخارى فى كتاب الأدب باب ما

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۳۶

يجوز من الغضب و الشّدّة لأمر اللّه و قال اللّه تعالى: جاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ .. و كذلك أفرد بابا آخر فى كتاب الأدب أيضا هو باب الحذر من الغضب لقول اللّه تعالى وَ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (۳۷) و قوله الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۳۴) ..

و فى الأيمان و النذور أفرد بابا آخر للغضب هو باب اليمين فيما لا يملك و فى المعصية و فى الغضب .. و آخر فى الديات باب إذا لطم المسلم يهوديّا عند الغضب رواه أبو هريرة عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم .. فقد أخرج البخارى فى كتاب الأدب (۵۶۴۹) عن أبى

هريرة رضى اللّه عنه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال (ليس الشّديد بالصّرعة إنّما الشّديد الّذى يملك نفسه عند الغضب) ..
و فى المناقب ذكر البخارى حديثا (۳۴۵۰) عن علىّ بن حسين أنّ المسور بن مخزمة قال إنّ عليّا خطب بنت أبى جهل فسمعت بذلك فاطمة رضى اللّه عنها فأتت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقالت يزعم قومك أنّك لا تغضب لبناتك و هذا علىّ ناكح بنت أبى جهل، فقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فسمعته حين تشهّد يقول (أمّا بعد أنكحت أبا العاص بن الرّبيع فحدّثنى و صدقنى و إنّ فاطمة بضعة منّى و إنّى أكره أن يسوءها و اللّه لا تجتمع بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و بنت عدوّ اللّه عند رجل واحد)، فترك علىّ رضى اللّه عنه الخطبة .. و فى كتاب الأدب فى صحيح البخارى (۵۶۵۱) عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنّ رجلا قال للنّبى صلّى اللّه عليه و سلّم أوصنى، قال (لا تغضب)، فردّد مرارا قال (لا تغضب) «۱» .. و من الوصايا النبوية فى حال الغضب:
۱. أن الرجل إذا تملكه الغضب و هو واقف فليجلس على الأرض، و إذا كان منبطحا فلينهض. و هنا إشارة علمية نبوية غاية فى الدقة، إذ أن الدم إذا تحرك فى حال تغيير وضع الجسم سيؤدى إلى تنشيط الدورة الدموية و بالتالى إلى تخفيف الغضب. (۱) موسوعة الإعجاز العلمى فى الحديث النبوى الشريف، عبد الرحيم ماردينى، ص ۲۰۵- ۲۰۸، بتصرف.
الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۳۷
۲. اللجوء إلى الوضوء و الصلاة لأنهما من أحسن العلاجات التى تزيل الغضب.
و قد ذكر لنا الصحابة و أهل العلم أن الغضب المعتدل مطلوب حتى قال بعضهم (من استغضب و لم يغضب فهو حمار)، و شبه بالحمار لبلادته و عدم اكتراثه، و المقصود هنا الغضب المسيطر عليه.
و هكذا يتبين لك أخى الكريم أن الإسلام يضع الموازين لكل شىء، فلا ضرر و لا ضرار كما تقول القاعدة الفقهية، و إذا بالعلم الحديث يذعن لصدق القرآن و أحاديث المصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم.

۴- علاج القرآن الكريم لتدهور العلاقة الزوجية:

أسس الشرع الحنيف أسسا رائعة للأسرة فجعلها اللبنة الرئيسية لتكوين المجتمع الذى يرمى لإنشائه. و ما أكثر الآيات و الأحاديث الشريفة التى تؤسس هذه الحقيقة، فقد جعل اللّه تعالى و كما ذكرنا و نذكر دائما الميثاق الغليظ الذى أخذ على أولى العزم من المرسلين عليهم السلام صنوا للعلاقة الزوجية بين الزوجين، فما أروع تلك العلاقة و ما أكبرها عند اللّه تعالى ..
وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ (۲۰) وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۲۱) وَ مِنْ آياتِهِ خَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِلْعالِمِينَ (۲۲) وَ مِنْ آياتِهِ مَنامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ ابْتِغاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (۲۳) وَ مِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ يُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (۲۴) وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ (۲۵) وَ لَهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ (۲۶) وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلى فِي السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۲۷)، (الروم).
لنتدبر النعم التى ذكرت فى هذه الآيات المباركات:
۱- نعمة خلق الناس و تكوينهم.
الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۳۸
۲- نعمة سنة الزواج للتكاثر و الحفاظ على الجنس مع ما فيها من متعة و لذة ارتضاها اللّه لعباده.
۳- نعمة جعل المودة و الرحمة بين الزوجين.
۴- نعمة خلق السماوات.

۵- نعمة خلق الأرض.

۶- نعمة اختلاف الألوان و الأشكال و الأذواق و اللغات و اللهجات لتسيير شئون العباد.

۷- نعمة النوم فى الليل.

۸- نعمة السعى لكسب الرزق فى النهار.

۹- نعمة البرق و ما فيها من فوائد ذكرناها فى كتاب النبات فضلا عن تأثيراتها النفسية و العقلية التى ذكرت فى كتاب المادة و الطاقة و كتاب الفلك.

۱۰- نعمة إنزال المطر لمصالح البشر و الحيوان و النبات و التى تصب أيضا فى مصلحة البشر.

۱۱- نعمة التحكم بقوانين الكون و سماواته الطباق التى فصلناها فى كتاب الفلك لمصلحة البشر التى خلق الكون من أجلهم و لأنها معدة لتكوّن الجنان و النيران عند ما يأتى أمر اللّه تعالى، و اللّه أعلم. و جميع قوانين الكون تسير بنظام لا تحيد عنه أعده اللّه تعالى لها فلا تعصى اللّه تعالى ما أمرها.

و لعل المتدبر لما جاء فى سورة الروم من تعداد لأهم آيات اللّه تعالى على خلقه يجد أن نعمة تكوين الأسرة جاء بعد نعمة الخلق و التكوين أى ضمن التسلسل الثانى من مجموع أحد عشرة نقطة عددتها الآيات فى سياق الذكر للسورة، و معروف فى علوم القرآن أن السياق و السباق يعتبران دليل على أهمية الأمر ضمن تسلسله، و هذا دليل مضاف على أهمية هذه الرابطة، و كأنها محور الكون و أساس وجوده، فلا عجب أن يهتم الشارع بها أيما اهتمام.

و رغم أننا سنفصل فى كتاب الاقتصاد و الاجتماع الشىء الكثير عن الزواج و ما يتعلق به، إلا أن الحديث هنا سيتركز حول مراعاة القرآن و السنة للحالات النفسية للزوجين، و كيفية إدارة و معالجة النزاع إن حدث بينهما.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۳۹

بدءا وضع القرآن الكريم و السنة المطهرة قوانين تمنع حصول النزاع و هى قوانين الاختيار بين الزوجين، فقال تعالى: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَنِينَ وَ حَفَدَةً وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ أَ فَبِالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (۷۲)، (النحل: ۷۲) .. قال بعض أهل التفسير رزق الطيبات فى الآية يدخل فيه الرزق بالولد الصالح و هم البنين و الحفدة المقصودون فيها و هو دليل على صلاح الزوجين، و يعضد ذلك تفسير ما كان فى قصة موسى و الخضر عليهما السلام مع اليتيمين و أبوهما الصالح فى سورة الكهف، و كذلك قوله تعالى* هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها فَلَمَّا تَغَشَّاها حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُما لَئِنْ آتَيْتَنا صالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (۱۸۹)، (الأعراف: ۱۸۹).

و قوله تعالى* وَ لَقَدْ كَرَّمْنا بَنِى آدَمَ وَ حَمَلْناهُمْ فِى الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ رَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ وَ فَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا (۷۰)، (الإسراء: ۷۰) .. قال بعض أهل العلم أن من التفضيل الرزق بالولد الصالح، و منه أن من بعض ما فسرت به قوله تعالى* إِنَّ اللَّهَ فالِقُ الْحَبِّ وَ النَّوى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (۹۵)، (الأنعام: ۹۵) .. قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۳۱) .. (يونس: ۳۱) .. يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ كَذلِكَ تُخْرَجُونَ (۱۹)، (الروم: ۱۹) .. أن إخراج الكافر و الطالح (الميت) من صلب المؤمن و الصالح (الحى) أو بالعكس هو من أمر اللّه تعالى و فضله على خلقه.

أما قوله تعالى الْخَبِيثاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثاتِ وَ الطَّيِّباتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّباتِ أُولئِكَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ (۲۶)، (النور: ۲۶)، فهو قانون بين واضح جلى لكل ذى عقل و بصيرة أن الزوجين الصالحين هما فعلا المقربون إلى اللّه تعالى و إلى الناس لما سينتجوه من عيال بررة صالحين، و العكس يصح أيضا.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۴۰

و فى أحاديث المصطفى صلوات اللّه و سلامه عليه و آله و صحبه نجد الكثير من الأحاديث التى تشكل لنا القوانين المؤسسة للأسرة الصالحة:

أخرج ابن ماجة (النكاح ۱۹۵۸) قال حدّثنا عبد اللّه بن سعيد حدّثنا الحارث بن عمران الجعفرىّ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم (تخيّروا لنطفكم و انكحوا الأكفاء و أنكحوا إليهم).

و فى مسند الشهاب (ج: ۱/ ص: ۳۷۰/ ۶۳۷) قال أخبرنا هبة اللّه بن إبراهيم الخولانى ثنا على بن الحسين بن بندار ثنا أحمد بن عبيد اللّه يعنى الدارمى ثنا عبد اللّه بن الحسين بن جابر مولى عقيل بن أبى طالب ثنا إسماعيل بن أبى أويس ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة يعنى عن عمه موسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم (ثم قيدوا العلم بالكتاب أقل من الدّين تكن حرا و أقل من الذنوب يهن عليك الموت و انظر فى أى نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس) ..

و نفس الحديث رواه الديلمى و البيهقى و غيرهم، كما و نجده فى كتب (الفردوس بمأثور الخطاب)، و (عين المعبود)، و (فيض القدير)، و (كشف الخفاء)، و (العلل المتناهية)، و غيرها.

و فى الحديثين السابقين دليل مهم لكل من كان له عقل و لب أو ألقى السمع فهو شهيد حول مسألة التأنى فى اختيار الزوجة الصالحة لأنها كالأرض إن صلحت صلح النبت و هو الولد، و العكس صحيح. و لقد أثبتت التجارب الحديثة أهمية السبق النبوى فى الحديثين الآنفى الذكر و ما يتعلق بهما من الآيات و الأحاديث الأخرى التى ذكرناها و نذكرها لاحقا .. فقد ثبت أن العرق دساس فعلا، و بينت أن التجارب الحديثة التى نشرت مؤخرا فقط فى العام ۲۰۰۴، أن الجينات قد تكون مسئولة عن الخيانة الزوجية ..

نعم أيها الأخوة، زعم بحث جديد أن الجينات قد تكون مسئولة عن الخيانة الزوجية.

و قال البروفيسور تيم سبيكتور من وحدة أبحاث التوائم بمستشفى سانت توماس بلندن إن لديه أدلة على وجود عنصر جينى فى الخيانة. و توصل البروفيسور، الذى ركز فى دراسته على النساء، إلى أنه إذا كانت لدى إحدى التوأمتين تجارب مع الخيانة فإن فرص أن تضل الأخت الأخرى تصل إلى ۵۵٪.

و تشير تقديرات الدراسة بشكل عام إلى أن نحو ۲۳ بالمائة من النساء غير

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۴۱

مخلصات. كما أكد البروفيسور سبيكتور أن نزعة الإخلاص أو الخيانة هى الأقوى بين التوائم الذين يحملون جينات متطابقة. و أشار البروفيسور إلى أن الجينات وحدها لا تحدد ما إذا كان من المحتمل أن يصبح الشخص خائنا أم لا إذ تلعب العوامل الاجتماعية دورا أيضا. غير أن البروفيسور سبيكتور لم يعلن صراحة عن وجود جين للخيانة، إذ قال «من غير المحتمل أن يكون هناك جين معين للخيانة. و لكن يمكن أن تكون هناك مجموعة من الجينات التى تساهم فى الخيانة أى أن عددا من الجينات يعمل سويا». و قال الدكتور بيترا بوينتون، أخصائى علم النفس الاجتماعى، إنه من الصعب جدا معرفة عناصر السلوك الموروثة و المكتسبة. و أضاف «إذ رأى الطفل أن أمه تخون أباه فمن السهل عليه أن يقلد نفس السلوك».

نموذج لسلسلة من الحمض النووى الريبوزى البشرى (دى إن إيه) الذى تكلمنا عنه فى كتاب الوراثة و الاستنساخ و أما أسلوب الاختيار الذى يأتى ضمن مرحلة التأنى هذه فهو ما تبينه الأحاديث الشريفة أدناه:

۱. لعل من أهم ما جاء فى هذا ما علمنا إياه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم بما أخرجه الترمذى فى سننه (النكاح ۱۰۰۴) من طريقين: عن أبى هريرة قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم (إذا خطب إليكم من ترضون دينه و خلقه فزوّجوه إلّا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض و فساد عريض)، قال و فى الباب عن أبى حاتم المزنىّ و عائشة قال أبو عيسى حديث أبى هريرة قد خولف عبد الحميد بن سليمان فى هذا الحديث و رواه اللّيث بن سعد

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۴۲

عن ابن عجلان عن أبى هريرة عن النّبى صلّى اللّه عليه و سلّم مرسلا قال أبو عيسى قال محمّد و حديث اللّيث أشبه و لم يعدّ حديث عبد الحميد محفوظا ... و فى نفس الباب (النكاح ۱۰۰۵) عن أبى حاتم المزنىّ قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم (إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فأنكحوه إلّا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض و فساد قالوا يا رسول اللّه و إن كان فيه قال إذا جاءكم من ترضون دينه و خلقه فأنكحوه ثلاث مرّات). قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب و أبو حاتم المزنىّ له صحبة و لا نعرف له عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم غير هذا الحديث .. يقول بعض أهل الحديث إن من معنى الحديث التفرقة بين الدين و الخلق، فالدين غير الخلق، الدين يقصد به هنا العبادات و العلاقة مع اللّه لأن الزوج إن أحب المرأة أكرمها و إن كرهها لم يظلمها. و أما الخلق فيقصد به أدب التعامل مع الخلق، و هو ما يؤدى لحسن التعامل مع الزوجة، و هنا إشارة إلى تربية الزوج فى بيته و أسرته و العادات التى اكتسبها منهم.

۲. فى حديث أنواع النكاح للنساء الذى اتفق عليه أغلب أهل السنن (النسائى، الدارمى، أحمد، ابن ماجة)، يذكر لنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قانونا مهما لبقاء الحياة الزوجية و ديمومتها و هو أن المرأة ذات الدين هى التى تحفظ لك ديمومة الأسرة و التربية الصالحة و لا يمنع ذلك أنها قد تكون جميلة أو ذات مال أو حسب. يقول صلّى اللّه عليه و سلّم فى الحديث الذى أخرجه النسائى (النكاح ۳۱۷۸) عن أبى هريرة عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال (تنكح النّساء لأربعة لمالها و لحسبها و لجمالها و لدينها فاظفر بذات الدّين تربت يداك) .. قال أهل الحديث أى ثبت زواجك كما يثبت التراب على اليد إن أصابته .. و يعضد ذلك قوله صلّى اللّه عليه و سلّم فى حديث كنز الحياة الدنيا و هو ما صح عن الإمام مسلم فى صحيحه (الرضاع ۲۶۶۸) عن عبد اللّه بن عمرو أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم قال (الدّنيا متاع و خير متاع الدّنيا المرأة الصّالحة)، و فى سنن أبى داود (كتاب الزكاة ۱۴۱۷) عن مجاهد عن ابن عبّاس قال لمّا نزلت هذه الآية (و الّذين يكنزون الذّهب و الفضّة) قال كبر ذلك على المسلمين فقال عمر رضى اللّه عنه أنا أفرّج عنكم فانطلق فقال يا نبىّ اللّه إنّه كبر على أصحابك هذه الآية فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم (إنّ اللّه لم يفرض الزّكاة إلّا ليطيّب ما بقى من أموالكم و إنّما فرض المواريث لتكون لمن

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۴۳

بعدكم)، فكبّر عمر ثمّ قال له (أ لا أخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصّالحة إذا نظر إليها سرّته و إذا أمرها أطاعته و إذا غاب عنها حفظته) «۱».

فإذا ما كان الاختيار مدروسا متكافئا حسب ما جاء فى القوانين القرآنية و النبوية التى بينا بعضها آنفا فستكون الزيجة عندئذ ناجحة بكل المقاييس، أما إذا اختلت المعادلة لسوء تقدير أحد الأطراف فلا يلومن إلا نفسه.

و على كل حال فقد وضع القرآن الكريم الحلول المناسبة التى تحاول منع المشاكل المؤدية إلى الانفصال، فجعل من سور النساء، الأحزاب، النور، الطلاق، و غيرها من السور و الآيات و كذلك أحاديث المصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم مدرسة لذلك.

تدبر معى أخى الكريم كيف يراعى القرآن الكريم الحالة النفسية للزوج و الزوجة، فالزوج يمر بمشاغل الحياة و تعبها و هم العيال و اللهث وراء الرزق و طرق أبوابه و ما يصاحب هذا من تعب جسمى و نفسى و ذهنى و جسدى ليؤثر ذلك على نمط سلوكه و تصرفه، و قد يلاقى من التوبيخ و التقريع و الإهانة من رب العمل، أو المنغصات من الناس ما يجعله يعود لبيته منهكا ليحول كل ذلك إلى أسرته و زوجته و عياله ... و تلك المرأة المسكينة تمر بمراحل تغير من نفسيتها بل و حتى من نمط تفكيرها و تبعا لذلك عمل هرموناتها، فمن رهبة الدخول لقفص الزوجية، مرورا بالحمل و الولادة و الرضاعة و النفاس و الحيض و ما يصاحب كل ذلك من تأثير على الحالة النفسية و الجسدية و الذهنية لها، فضلا عن أنها مسئولة عن مراعاة مزاج الزوج و تقلباته و تربية الأطفال و معاناتها و واجبات البيت و إفرازاته مع تحمل أمراض المجتمع و إرهاصاته ... فقد أثبتت البحوث الحديثة أن الحيض لوحده (و هو كما يعرفه الأطباء و المختصون بأنه إسقاط مصغر) يجعل من حال المرأة كحال المجنونة أقرب منها إلى العاقل لما له من تأثيرات سلبية على كل

خلیهٔ فیها، فیتغیر المزاج و التفکیر و تدهور الصحهٔ و الترکیز و تضعف السیطرهٔ علی الأعصاب و ما إلی ذلک من تغییرات تم ثبوتها خلال التجارب و البحوث الحدیثهٔ، و قد ذکرنا بعض الإعجازات القرآنیهٔ فی موضوع الحیض فی کتاب (۱) انظر کتابنا (المنظار الهندسی للقرآن الکریم)، الباب الثالث/ الفصل الرابع (سقف من فضهٔ و بیوت من زخرف) ففیه تفاصیل واسعهٔ حول هذا الموضوع.

الجملهٔ العصبیهٔ و الطب النفسی، ج ۱، ص: ۴۴

الطب من هذه السلسلهٔ.

إلی کل تلک الأسباب و غیرها شرع القرآن الکریم و السنهٔ المطهرهٔ أسالیب للعلاج النفسی و الاجتماعی لمراعاهٔ حالات الخلاف و الاختلاف بین الزوجین منعا للکارثهٔ، و من ذلک ما جاء فی سورهٔ الطلاق بأسرها و کیف أن الخطاب فیها جاء- لمن یتدبر- و کأن اللّه تعالی بعظمته و جلاله یتقدم بالرجاء للزوج أن یعرض عن فعلهٔ الطلاق فیخاطبه تعالی، و ما أعظم الخطاب، بعد کل تفصیل فی السورهٔ بعبارهٔ ... وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ ...، أی من یخاف ربه فعلا فلن یطلق زوجته مهما کانت الأسباب إلا التی یستوجب الطلاق فیها کفعل القبیح و العیاذ باللّه، فقد جاءت هذه العبارهٔ ثلاث مرات فی السورهٔ للتأکید علی هذا الطلب، تخیل أخی الکریم أن اللّه تعالی یتقدم إلیک بالرجاء، فأی منزلهٔ للأسرهٔ و المرأهٔ تلک التی رسمها الإسلام، و لیسمع کل أعدائه عظمهٔ هذا الدین، و لیفهم کل الأدعیاء و الجهلهٔ کم هی الرقهٔ و دفء المشاعر التی یرسمها لنا شرعنا الحنیف فی أحلک الظروف التی تمر بها الأسرهٔ، اسمع یا أخی و تدبر:

* الرجاء الأول بعدم الطلاق حتی إن کان الأمر قد وصل إلیه، فالتراجع عنه أقرب لمحبهٔ اللّه و رضوانه حفاظا علی رباط الأسرهٔ التی هی عند اللّه تعالی میثاق غلیظ، رجاء جزاءه تفریج الهم: فَإِذا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِکُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ أَشْهِدُوا ذَوَیْ عَدْلٍ مِنْکُمْ وَ أَقِیمُوا الشَّهادَهَ لِلَّهِ ذلِکُمْ یُوعَظُ بِهِ مَنْ کانَ یُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْیَوْمِ الْآخِرِ وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (۲)، (الطلاق: ۲).

* الرجاء الثانی بعدم الطلاق، رجاء جزاءه فتح أبواب الرزق مع تیسیر الحال فی الدنیا وَ اللَّائِی یَئِسْنَ مِنَ الْمَحِیضِ مِنْ نِسائِکُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَهُ أَشْهُرٍ وَ اللَّائِی لَمْ یَحِضْنَ وَ أُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ یَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ یَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ یُسْراً (۴)، (الطلاق: ۴).

* الرجاء الثالث بعدم الطلاق، و جزاءه أعظم من سابقیه و هو تکفیر السیئات و تعظیم الأجر فی الآخرهٔ: ذلِکَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَیْکُمْ وَ مَنْ یَتَّقِ اللَّهَ

الجملهٔ العصبیهٔ و الطب النفسی، ج ۱، ص: ۴۵

یُکَفِّرْ عَنْهُ سَیِّئاتِهِ وَ یُعْظِمْ لَهُ أَجْراً (۵)، (الطلاق: ۵).

و الأمثلهٔ فی هذا المقام أکثر من أن تضرب، و لکن دعونا نتدبر ما جاء فی سورهٔ النساء حول الإجراءات الاحترازیهٔ و الوقائیهٔ و النفسیهٔ فی منع حدوث الخلاف المؤدی للهدم و الطلاق، یقول تعالی:

۱- الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَی النِّساءِ بِما فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلی بَعْضٍ وَ بِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوالِهِمْ فَالصَّالِحاتُ قانِتاتٌ حافِظاتٌ لِلْغَیْبِ بِما حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِی تَخافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِی الْمَضاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَکُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَیْهِنَّ سَبِیلًا إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیًّا کَبِیراً (۳۴)، (النساء: ۳۴) «۱».

۲- وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَیْنِهِما فَابْعَثُوا حَکَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَکَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ یُرِیدا إِصْلاحاً یُوَفِّقِ اللَّهُ بَیْنَهُما إِنَّ اللَّهَ کانَ عَلِیماً خَبِیراً (۳۵)، (النساء: ۳۵) .. وَ إِنِ امْرَأَهٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَیْهِما أَنْ یُصْلِحا بَیْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَیْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ کانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِیراً (۱۲۸)، (النساء: ۱۲۸) .. فعملیهٔ إدخال عنصر الإصلاح من قبل آخرین هو الدور الذی یمثله الیوم و فی زماننا المتطور هذا المصلح الاجتماعی أو قل المراقب و الباحث الاجتماعی، و اختیار الأقرباء و العقلاء منهم هو لحرصهم علی الإصلاح أکثر من غیرهم. إذ عند ما تصل الأمور بین الزوجین بأن یتملکهما الغضب و یأخذهما الاعتداد بالنفس و العزهٔ بالإثم کل مأخذ فعندئذ لا یمکن للنصح أن یفعل فعله، فلا بد من طرف متعقل یتصدی للأمر و یأخذ بزمام المبادرهٔ

لفعل الصلح الذى جعله اللّه تعالى واحدا من أهم (۱) سنتطرق إلى معنى القوامة للرجال على النساء فى كتاب (الاقتصاد و الاجتماع) من هذه السلسلة ... كما و أن معنى النشوز أى الإعراض عن واجب المطاوعة لا يعنى هنا تسلط الرجال و استغلالهم لهذه الصلاحية فى التعدى على الزوجة لأقل تقصير قامت به، و إنما فصّل أهل العلم فى هذا، و لكن الجهل الغالب على الناس فى أمور دينهم و تغييب التعليم الصحيح لمفاهيم الشريعة بل و التهكم بها فى وسائل الإعلام المغرضة جعل أكثر الناس يلومون الدين و يحولون المباح بشرط إلى حلال مطلق، فنعيب زماننا و العيب فينا .....

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۴۶

أنواع الحديث الدائر بين الناس لأن أكثره فى أمور تافهة أو باطلة أو لا تؤدى لسمو البشر، فقال تعالى ليبين عظمة فعل الصلح و الإصلاح* لا خَيْرَ فِی کَثِیرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَیْنَ النَّاسِ وَ مَنْ یَفْعَلْ ذلِکَ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِیهِ أَجْراً عَظِیماً (۱۱۴)، (النساء: ۱۱۴).

و لعلنا لا نعطى للموضوع حقه و لا نفيه كل تفاصيله مما جاء فى هذا الأمر من آيات و أحاديث، و حسبنا أننا بينا عظمة السبق القرآنى فى علاج حالات الخلل النفسى و الاجتماعى فى الأسرة و أعضائها. و نترك الإفادة لأهل الاختصاص و الإجادة.

۵- سلوك النفس البشرية فى القرآن الكريم:

اشارة

ذكر اللّه تعالى لنا فى القرآن الكريم حالات النفس البشرية و أمراض القلوب، و فصلت ذلك السنة المطهرة. و قد نحتاج إلى عدة مؤلفات لتفصيل ذلك، و لكننا آثرنا أن نختصر قدر الإمكان.

هناك سورة كاملة تسمى سورة الإنسان فى القرآن الكريم، كما ذكرت كلمة الإنسان معرفة (۵۸) مرة، و كلمة إنسان نكرة (۶۵) مرة، و كلمة نفس نكرة (۴۷) مرة، و كلمة النفس معرفة (۷) مرات، كل ذلك يدل على أهمية الموضوع، و أن معالجة هذه النفس الإنسانية هى الأساس فى نزول القرآن .. سوف نستعرض أدناه و بإيجاز بعض الحالات التى تطرق إليها الكتاب العزيز فى هذا الموضوع مع تعليق مقتضب، مع التذكير بأننا سنذكر تفاصيل أكثر فى هذا الموضوع فى كتاب الاقتصاد و الاجتماع من هذه السلسلة خصوصا ما يصاحب البشر من قلق جراء تصرفات اجتماعية بعينها:

۱. ضعف الإنسان اتجاه الشهوات:

زُیِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِینَ وَ الْقَناطِیرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَیْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعامِ وَ الْحَرْثِ ذلِکَ مَتاعُ الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (۱۴) (آل عمران: ۱۴).

یُرِیدُ اللَّهُ أَنْ یُخَفِّفَ عَنْکُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسانُ ضَعِیفاً (۲۸)، (النساء: ۲۸).

۲. حاجة الإنسان إلى رب يلتجئ إليه وقت الشدائد، و من ثم إنكار فضل اللّه تعالى عليه:

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۴۷

وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أَوْ قاعِداً أَوْ قائِماً فَلَمَّا کَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ کَأَنْ لَمْ یَدْعُنا إِلی ضُرٍّ مَسَّهُ کَذلِکَ زُیِّنَ لِلْمُسْرِفِینَ ما کانُوا یَعْمَلُونَ (۱۲) (یونس).

وَ لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ (۹) (هود: ۹).

وَ آتاكُمْ مِنْ كُلِّ ما سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (۳۴) (إبراهيم: ۳۴).

وَ إِذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَ كانَ الْإِنْسانُ كَفُوراً (۶۷)، (الإسراء: ۶۷).

* وَ إِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ ما كانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَ جَعَلَ لِلَّهِ أَنْداداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحابِ النَّارِ (۸) (الزمر: ۸).

فَإِذا مَسَّ الْإِنْسانَ ضُرٌّ دَعانا ثُمَّ إِذا خَوَّلْناهُ نِعْمَةً مِنَّا قالَ إِنَّما أُوتِيتُهُ عَلى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَ لكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (۴۹)، (الزمر: ۴۹).

وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ (۵۱)، (فصلت: ۵۱).

۳. كفره بالنعمة:

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَ إِنَّا إِذا أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِها وَ إِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسانَ كَفُورٌ (۴۸) (الشورى: ۴۸).

قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ (۱۷)، (عبس: ۱۷).

۴. أنانية الإنسان، بخله، خوفه، سرعة جزعه، و حبه لذاته:

قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ وَ كانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً (۱۰۰) (الإسراء: ۱۰۰).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۴۸

فَأَمَّا الْإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (۱۵) وَ أَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ (۱۶) كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (۱۷) وَ لا تَحَاضُّونَ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ (۱۸) وَ تَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلًا لَمًّا (۱۹) وَ تُحِبُّونَ الْمالَ حُبًّا جَمًّا (۲۰)، الفجر.

* إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً (۱۹) إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً (۲۰) وَ إِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً (۲۱) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (۲۲) الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ (۲۳)، (المعارج).

فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَ اسْمَعُوا وَ أَطِيعُوا وَ أَنْفِقُوا خَيْراً لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۶)، (التغابن: ۱۶) .. و الشح أعلى مراحل البخل، فمن يتخلص من مرض الشح هذا فإنه مؤكد سيكون من المفلحين فى الدنيا و الآخرة، لذلك مدح اللّه تعالى أهل المدينة من الأنصار الذين استقبلوا إخوانهم من المهاجرين و أعطوهم كل ما يتمنون عن طيب خاطر، فكانوا بحق من الذين انتصروا على مرض الشح و البخل فتسلقوا سلم السمو الروحى و النفسى و الفكرى وَ الَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَ الْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَ لا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَ يُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَ لَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۹)، (الحشر: ۹).

۵. عجالة الإنسان:

وَ يَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كانَ الْإِنْسانُ عَجُولًا (۱۱)، (الإسراء: ۱۱).

۶. ميله للإحباط و اليأس:

وَ إِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَ نَأى بِجانِبِهِ وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ كانَ يَؤُساً، (الإسراء: ۸۳).

لا یَسْأَمُ الْإِنْسانُ مِنْ دُعاءِ الْخَیْرِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَیَؤُسٌ قَنُوطٌ (۴۹)، (فصلت: ۴۹).

۷. مکابرته و حبه للجدل و عناده:

وَ لَقَدْ صَرَّفْنا فِی هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ کُلِّ مَثَلٍ وَ کانَ الْإِنْسانُ أَکْثَرَ شَیْءٍ

جَدَلًا (۵۴)، (الکهف: ۵۴). وَ یَقُولُ الْإِنْسانُ أَ إِذا ما مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَیًّا (۶۶) أَ وَ لا یَذْکُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ یَکُ شَیْئاً (۶۷)، (مریم).

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یُجادِلُ فِی اللَّهِ بِغَیْرِ عِلْمٍ وَ لا هُدیً وَ لا کِتابٍ مُنِیرٍ (۸) (الحج: ۸).

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولًا (۷۲)، (الأحزاب: ۷۲).

۸. فطرة الإنسان علی محبة أولاده و أهله و والدیه، و توصیة الإنسان بوالدیه:

وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ حُسْناً وَ إِنْ جاهَداکَ لِتُشْرِکَ بِی ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما إِلَیَّ مَرْجِعُکُمْ فَأُنَبِّئُکُمْ بِما کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۸) (العنکبوت: ۸)، و مثلها فی لقمان.

وَ وَصَّیْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَیْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ کُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ کُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّی إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِینَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَصْلِحْ لِی فِی ذُرِّیَّتِی إِنِّی تُبْتُ إِلَیْکَ وَ إِنِّی مِنَ الْمُسْلِمِینَ (۱۵)، (الأحقاف: ۱۵).

۹. وسوسة النفس و حدیثها:

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ (۱۶)، (ق: ۱۶).

۱۰. اغترار الإنسان و میله للدنیا:

یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ (۶)، (الانفطار: ۶).

۱۱. تذکیر النفس بلقاء اللّه تعالی مهما طال العمر:

یَوْمَ یَتَذَکَّرُ الْإِنْسانُ ما سَعی (۳۵)، (النازعات: ۳۵).

یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلی رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِیهِ (۶)، (الانشقاق: ۶).

۱۲. تعجب الإنسان و ذهوله عند حصول ما لا یرغب:

إِذا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزالَها (۱) وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقالَها (۲) وَ قالَ الْإِنْسانُ ما لَها

(۳) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها (۴) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها (۵) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتاتاً لِيُرَوْا أَعْمالَهُمْ (۶) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (۷) وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (۸)، (الزلزلة).

۱۳. عظمة خلق الإنسان:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ (۴)، (التین: ۴).

۱۴. أمراض الحسد و السحر و وسوسة الشياطين

و هو مـا ذكر فى سورتين من أعظم ما أنزل على المصـطفى صـلّى اللّه عليه و سـلّم ألا و هما المعوذتان (الفلق و الناس) قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (۱) مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (۲) وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (۳) وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِی الْعُقَدِ (۴) وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (۵) .. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (۱) مَلِكِ النَّاسِ (۲) إِلهِ النَّاسِ (۳) مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ (۴) الَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النَّاسِ (۵) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (۶).

هذه الأمراض قد تكون جراء أسـباب تربوية أو اجتماعية أو بيئية معينة. لأن من أثر قوانين الابتلاء و الفتنة و التسخير «۱» أمراضا تدخل و تأكـل فى قلوب النـاس و المجتمعـات فتعمل على نخرها و تـدميرها و منها الحسـد و الغيبـة و النميمـة و غيرها، و هـذا قـد حـدّث به القرآن الكريم كمـا يتبين ذلك فى قول اللّه تعالى محـدثا عن لسان أقوام سـبقوا وَ كَذلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَ هؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنـا أَ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (۵۳)، (الأنعام: ۵۳) .. و معنى الفتنة هنا ما يكون من أمر الحسد بين الناس بسـبب تفضـيل بعضهم على بعض، و منه الحسد الذى لا يدخل فى باب الغبطة و هو الحسد الجالب للأذى بأنواعه. و من الحسد حسد للمال و الولد و الجاه و السـلطان و العلم (و هو أخطر الحسد الذى كان سـببا لعداوة أهل الشـر للأنبياء و الرسل و المصلحين و العلماء) و غيره ... و من هذا كان معنى قول سيدنا يعقوب عليه السلام لأولاده عند دخولهم على عزيز أن ادخلوا من أبواب متفرقة خشية أن تحسدوا لكثرتكم، و هو ما (۱) يراجع كتابنا (القوانين القرآنية للحضارات) حول القوانين المسببة لهذه الأمراض.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۵۱

عبرت عنه الآيـة الكريمـة التى تحدثت عن القصة فى سورة يوسف وَ قالَ يا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَ ادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَ ما أُغْنِی عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (۶۷) وَ لَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ ما كـانَ يُغْنِی عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا حاجَةً فِی نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضاهـا وَ إِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمـا عَلَّمْنـاهُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (۶۸)، (يوسف).

و قد بينت أحاديث المصـطفى صـلّى اللّه عليه و سلّم مسائل مهمة فى أمراض النفس و منها الحسد و الكذب و الغيبة و النميمة و أثرها الهـدام على الناس فى الدنيا و أكلها لحسنـاتهم يوم القيامة ... و فى الحسد أيضا و هو من أنواع أمراض النفس البشـرية التى تدخل فى بـاب الفتنـة و الابتلاء و التسـخير و فى أمراض أخرى نزلت المعوذتـان و همـا من أعظم السور التى جاءت الأحاديث الصـحيحة لتبين مكانتهما و عظم أجر تلاوتهما و حفظهما.

۱۵. تقسيمات النفس البشرية:

و لقد قسم القرآن الكريم النفس البشرية إلى نفس مطمئنة مؤمنة ينحصر همها فى الآخرة و لا تنظر إلى الدنيا إلا كمحطة سفر. و النوع الثانى هى النفس اللوامة التى تستمر بالمحاسبة على الأعمال، و النوع الثالث الخبيثة الأمارة بالسوء.

كما و ذكر القرآن أن النفس فى صراع دائم بين الفجور و التقوى، و أن الـذى يفوز هو الـذى يدربها على محاربة الهوى و الشـهوات المحرمات. و هذا ما نجده فى قوله تعالى:

يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (۲۷) ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً (۲۸) فَادْخُلِي فِي عِبادِي (۲۹) وَ ادْخُلِي جَنَّتِي (۳۰)، (الفجر).

لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ (۱) وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (۲) أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ (۳) بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ (۴) بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ (۵) يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ (۶) فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ (۷) وَ خَسَفَ الْقَمَرُ (۸) وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ (۹) يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (۱۰)، (القيامة).

* وَ ما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (۵۳)، (يوسف: ۵۳).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۵۲

وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى (۴۰) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوى (۴۱)، (النازعات).

و الناس على أصـناف ثلاثـة كما فصل الكتاب العزيز فى عدة مواضع و منها بداية سورة البقرة، المؤمن و الكافر و المنافق، و قد أعطى القرآن كل صنف حقه من التفصيل.

و أما أمراض النفس و القلب فهى على نوعين أمراض الشك و أخطرها الشك بالغيب الذى أخبر عنه اللّه تعالى، و أعلى مراحله الكفر باللّه و العياذ باللّه، و النوع الآخر هو أمراض الشهوة و منها شهوات الحواس كالفرج و البطن و اللسان، و فى هذا تفصيل كبير، إذ تتفرع من هذين النوعين أنواع أخرى يطول المقام بشرحها.

۱۶. تأثير نقض العهود و خلف الوعود على تصرفات و سلوك الشخص:

ثبّت القرآن الكريم حقيقة مهمة مفادها أن من ينقض العهد و الوعد مع اللّه و مع الناس فإن مصيره و نتيجة عمله سـتؤثر على سـلوكه. هذا التأثير مفاده نفاق و تخبط بالتصـرف يتبعه اختلال فى الشخصية، و أما فى الآخرة فعذاب مهين ما لم يستدرك بالتوبة* وَ مِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَ لَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (۷۵) فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (۷۶) فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما كانُوا يَكْذِبُونَ (۷۷)، (التوبة). هذه الآيات كما تحدثنا كتب السيرة نزلت فى الصـحابى ثعلبـة الـذى أطلق عليه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و سـلّم حمامـة المسـجد، إذ كان لا يحضـر صـلّى اللّه عليه و سـلّم إلى المسـجد يوما إلا و رآه قبله. لكن هذا الصحابى طلب من النبى صلّى اللّه عليه و سلّم أن يسأل اللّه له الغنى، فلما ألح بالطلب عاهد اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم و المؤمنين أنه إذا ما آتاه اللّه المال ليعطين كل ذى حق حقه. فلما دعا له النبى صلّى اللّه عليه و سلّم بما أراد آتـاه اللّه مالاـ و غنمـا، و لمـا طلب منه دفع زكاتهـا رفض و نقض عهـده، فـدعا عليه النبى صـلّى اللّه عليه و سـلّم فحرّم مـاله على المسـلمين و لم تؤخذ منه زكاة رغم ندمه لا فى عهد النبى صلّى اللّه عليه و سلّم و لا فى عهد الخلفاء الثلاثة الذين تولوا أمر المسلمين من بعده أبى بكر و عمر و عثمان رضى اللّه عنهم، و مات فى عهد عثمان و لم تقبل منه زكاة فمات على الكفر.

و هنا نركز على أن نقض العهـد يورث نفاقا فى القلب و تخبطا فى السـلوك، و هو قوله تعالى فَأَعْقَبَهُمْ نِفاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِما أَخْلَفُوا اللَّهَ ما وَعَدُوهُ وَ بِما كانُوا

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۱، ص: ۵۳

يَكْذِبُونَ (۷۷)، (التوبة: ۷۷).

۱۷. الأساليب القرآنية للنقاش و تأثيرها على نفسية المقابل:

كـذلك فإن القرآن الكريم ينوع أسلوب التحدث و المناقشة و النصحية مع الناس، و ذلك لاختلاف أصناف نفسياتهم و تركيباتها، فالدين النصيحة كما يعلمنا صلّى اللّه عليه و سلّم. اسمع إلى قوله تعالى:

ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّك بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّك هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (۱۲۵)، (النحل: ۱۲۵).

خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ (۱۹۹)، (الأعراف: ۱۹۹).

وَ إِذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَ قالُوا لَنا أَعْمالُنا وَ لَكُمْ أَعْمالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجاهِلِينَ (۵۵)، (القصص: ۵۵).

وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقاقَ بَيْنِهِما فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِها إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً خَبِيراً (۳۵)، (النساء: ۳۵).

وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (۱۲۸)، (النساء: ۱۲۸).

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكاظِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (۱۳۴)، (آل عمران: ۱۳۴).

قُلْ يا عِبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ (۱۰)، (الزمر: ۱۰).

وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۵۴

فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَ أَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (۹) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (۱۰)، (الحجرات).

من خلال تدبر الآيات أعلاه و غيرها نستنتج أن الدعوة إلى اللّه تعالى و المناقشة العامة و أساليب الإصلاح تكون بأحد الأساليب الآتية أو بها جميعا و حسب الحالة:

۱. الدعوة و المناقشة بالحكمة: و هذه تكون لأصحاب العقول النيرة، و القلوب الشفافة.

۲. المناقشة بالموعظة الحسنة: و هذه تكون لأصحاب الآراء المترددة و اللامنتمية.

۳. المناقشة بالجدال الحسن: و هذه لأصحاب الأهواء و العقول البعيدة عن المنطق و الرأى العلمى السديد.

۴. الابتعاد عن الجاهلين: و عدم مناقشتهم لجهلهم و سفههم و انعدام إمكانية هدايتهم.

۵. حالة الاستحضار و النية تمكن من إنجاز الهدف: فحالة إرادة الصلح لطرفى النزاع هى التى تمكن من إنجاز الصلح بأن يوفقهما اللّه تعالى لذلك، و هو قوله تعالى ... إِنْ يُرِيدا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُما ....

۶. استخدام أطراف أخرى: تكون أكثر حكمة و دراية و روية لتساعد فى حل المشكلة، و منها أطراف من أهل و ذوى أصحاب المشكلة لأنهم أكثر إحساسا و اهتماما و أحن من غيرهم على أولادهم و أقربائهم.

۷. آخر الدواء الكى: استخدام كافة أساليب الهداية و الإصلاح ثم يأتى العقاب الجسدى كحل أخير يستخدم إذا أعيت الناصح كل الأساليب النفسية و الإصلاحية و النقاشية.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۵۵

۸. الصبر أولاـ فى كل الأحوال يدعو اللّه تعالى إلى الصبر و عدم التعجل بالرد، فكانت جائزة الصابرين أعظم الجوائز و هى دخولهم الجنة بغير حساب فى يوم الحساب.

و فى علم النفس الخاص بتربية الأولاد، يعلمنا المصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم أن تربية الأولاد تكون بمراحل و حسب العمر، و لكل

فئة عمریة نصیبها من المعاملة، کما و ینهانا صلّی اللّه علیه و سلّم عن التفریق بین الأولاد فی العطایا و التعامل، و نهانا أیضا عن الضرب المبرح، و یأمرنا بتقبیل الأولاد و الترفیه عنهم و تقدیم الهدایا لهم، ففی صحیح البخاری (باب الهبة للولد) یقول: و إذا أعطی بعض ولده شیئا لم یجز حتّی یعدل بینهم و یعطی الآخرین مثله و لا یشهد علیه و قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم: (اعدلوا بین أولادکم فی العطیّة و هل للوالد أن یرجع فی عطیّته و ما یأکل من مال ولده بالمعروف و لا یتعدّی)، و اشتری النّبی صلّی اللّه علیه و سلّم من عمر بعیرا ثمّ أعطاه ابن عمر و قال اصنع به ما شئت. بل إن المتتبع لقصة سیدنا یوسف علیه السّلام فی سورة یوسف یجد أن السبب الرئیسی فی کل ما جری من مآسی له جاءت بسبب حقد أخوته علیه لإحساسهم أنه مفضل دونهم عند أبیه.

و فی کل هذه الأسالیب التربویة النبویة الشریفة من الروعة و الدقة للتقسیم العمری للأولاد ما یغنی عن التفسیر و التفصیل، و یکفی أن نقول أن علم النفس الحدیث و بعد تجارب لسنین طویلة أثبت صحة کل ذلک.

و اسمع کیف یجمع لک القرآن صفات عدیدة للنفس البشریة مع علاجات اجتماعیة و قضائیة لظواهر عدیدة فی کلمات معدودات: فَما أُوتِیتُمْ مِنْ شَیْ ءٍ فَمَتاعُ الْحَیاةِ الدُّنْیا وَ ما عِنْدَ اللَّهِ خَیْرٌ وَ أَبْقی لِلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ (۳۶) وَ الَّذِینَ یَجْتَنِبُونَ کَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ وَ إِذا ما غَضِبُوا هُمْ یَغْفِرُونَ (۳۷) وَ الَّذِینَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ وَ أَمْرُهُمْ شُوری بَیْنَهُمْ وَ مِمَّا رَزَقْناهُمْ یُنْفِقُونَ (۳۸) وَ الَّذِینَ إِذا أَصابَهُمُ

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج ۱، ص: ۵۶

الْبَغْیُ هُمْ یَنْتَصِرُونَ (۳۹) وَ جَزاءُ سَیِّئَةٍ سَیِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَی اللَّهِ إِنَّهُ لا یُحِبُّ الظَّالِمِینَ (۴۰) وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِکَ ما عَلَیْهِمْ مِنْ سَبِیلٍ (۴۱) إِنَّمَا السَّبِیلُ عَلَی الَّذِینَ یَظْلِمُونَ النَّاسَ وَ یَبْغُونَ فِی الْأَرْضِ بِغَیْرِ الْحَقِّ أُولئِکَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِیمٌ (۴۲) وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِکَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (۴۳) وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ وَلِیٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرَی الظَّالِمِینَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذابَ یَقُولُونَ هَلْ إِلی مَرَدٍّ مِنْ سَبِیلٍ (۴۴)، (الشوری) ..

فقد جمعت الآیات المبارکات الدعوة للزهد بالدنیا لأن ما فی الآخرة أفضل من حیث النوع و أکثر دواما، و لکن لمن یحمل مواصفات خاصة فی مواقف صعبة، و هم:

۱- أهل الصبر و التحمل فی تجنب الشهوات من کبائر الإثم و الفواحش و الفتن إذا ما تعرضوا له.

۲- الذین یغفرون أثناء الغضب، و یا له من موقف.

۳- المستمرون علی العبادات بأکمل صورها.

۴- أهل المشورة و التشاور و عدم الاستبداد فی أوقات الشدة و الفرج.

۵- الذین ینفقون من أموالهم للمحتاجین فی أوقات العسر و الیسر.

۶- الذین ینتصرون للمظلوم أمام الظالم أیا کان نوعه و مهما بلغت قوته.

۷- أهل العفو و العدل فی جمیع المواقف و لو علی أنفسهم و الأقربین.

۸- کما تشکل لنا الآیات نفسها قانونا للدفاع عن الحقوق للفرد و الجماعة، و متی یتحتم الصبر و متی یجب الاقتصاص من الظالمین.

و الآیات المعالجة للحالات النفسیة و الاجتماعیة کثیرة جدا فی کتاب اللّه تعالی و سنة رسوله صلّی اللّه علیه و سلّم، یمکننا إن تبحرنا فیها أن نصل للحقیقة الساطعة و هو أن ما جاء به الإسلام من العدل و طبقة علی مدار قرون عدیدة فی البلدان التی حکمها، خصوصا عند ما

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج ۱، ص: ۵۷

طبق الشرع الحنیف بشکل کامل، لم تستطع أیة تشریعات أخری علی مدی التاریخ من أن تدانیه فی ذلک.

إن النفس البشریة تبقی أکثر الأمور غموضا و سبب ذلک یعود لجهلنا بهذه اللطائف الإلهیة العظیمة، العقل أو الدماغ، الروح و

مكنوناتها و أسرارها: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (۸۵)، (الإسراء: ۸۵).

سنحاول فى الكتاب اللاحق سبر أغوار هذه اللطائف الإلهية الكريمة التى شرف اللّه تعالى الإنسان بها فميزه بها عن بقية خلقه. فلنا عودة بإذن اللّه تعالى إلى موضوع النفس و الأحلام و الباراسايكولوجى و كيف عالج القرآن الكريم موضوع الحالة النفسية لرائى الحلم أو الرؤيا فى كتابنا اللاحق من هذه السلسلة، و فى كتاب الاجتماع سنعرج على الفروقات النفسية و السلوكية و التشريحية لدماغ الجنسين. فهذا القرآن لم يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها و لكن الناس يعاندون و يجادلون و هم لا يعلمون أنهم على أنفسهم يضحكون، و صدق اللّه تعالى الذى يواسى نبيه صلّى اللّه عليه و سلّم بعد ما كذبه قومه و أحزنوه و آذوه و هو الذى يريد لهم الخير، بقوله سبحانه: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (۳۳)، (الأنعام: ۳۳).

فسبحان من أحصى كل شىء وعده عدا، و أعطى لكل حق حقه و هدى ..

إلى اللقاء مع الكتاب القادم و السلام عليكم و رحمة اللّه تعالى و بركاته.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۱، ص: ۶۱

فهرس المحتويات

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳

[الجزء الثالث عشر]

المقدمة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

الحمد للّه رب العالمين و الصلاة و السلام على أفضل و أشرف رسله و أنبيائه سيدنا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم، و على آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، و بعد.

نلتقى معكم و كتابنا الثالث عشر فى سلسلتنا (ومضات إعجازية)، و سنكمل فى هذا الكتاب ما كنا قد بدأناه فى الكتاب السابق، و هو السبق القرآنى فى مجال غاية فى الأهمية، و هو النفس البشرية علومها و أسرارها.

كنا قد تحدثنا عن الإعجاز القرآنى فى موضوع الجهاز العصبى و الحسى، و لكننا سنقوم فى هذا الكتاب بتفصيلات تتعلق بعالم غريب مثير للاهتمام، و هو موضوع النفس و الروح و الأحلام، مبتدئين بالكلام عن عمل الدماغ و أسراره.

كما و سنتكلم عن موضوع القدرات فوق النفسية التى تعرف بخوارق العادات، الباراسايكولوجى.

لنرى أن القرآن الكريم قد سبق أيضا بالكلام عن كل تلك العلوم إشارة و تفصيلا من حيث التشخيص و التنظير و التحليل.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۵

الفصل الأول عمل الدماغ

اشارة

کی نستطیع أن ندخل إلى هذين الموضوعين- الأحلام و الباراسايكولوجى- بشكل صحيح علينا أولا أن ندخل إلى أصل الموضوع، الدماغ، و كيفية عمله؟.

من الناحية التشريحية فإن الدماغ أو المخ يحتوى على أكثر من ۱۰۰۰ مليون خلية عصبية، و كل ما يأتينا من أخبار سارة أو محزنة ينتقل إليه عبر الحواس فيتحول كل ذلك عن طريق تحولات و تفاعلات بيوكيميائية معقدة إلى ردود أفعال نفسية و سلوكية تؤثر على كل فعالياتنا بل و تحكمها.

يقسم الدماغ إلى نصفين (الأيمن) أو الجزء الصامت أو اللامنطقى lacigoL- noN ro) labreV- noN (، و هو المسئول عن التصور و التخيل و الحدس. أما النصف الأيسر فهو النصف المتكلم (labreV) أو المنطقى (lacigoL)، فهو الذى يتحمل المسئولية الرئيسية فى حل المشكلات المنطقية و السببية و الفلسفية و اللغوية و الرياضية، و يوجد تعاون و تناغم مستمر بين الجزءين.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۶

التجمعات العصبية فى الدماغ و المسئولة عن كل التصرفات و الإيعازات التى تحصل لابن آدم يقول مشرحو الأعصاب أن هناك مناطق فى الدماغ البشرى لم تقم بوظيفتها بعد، و أن الإنسان يستغل ۱۰٪ من دماغه فقط، مع زيادة فى هذه النسبة تصل إلى ۱۵٪ عند النوابغ.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۷

الخلايا العصبية و نقل الإيعازات تصوير شعاعى لعمل الدماغ أصبح إنسان العصر الحديث و خصوصا بعد عصر الثورة الصناعية يعتمد على

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۸

النصف الخاص بالمنطق و السببية و الحساب و هو النصف الأيسر، بعد ما كان يعتمد فى الماضى السحيق على النصف الأيمن، فكانت فطرته تدله على الأشياء و الأمور.

شكل يوضح وظائف نصفى الدماغ الأيمن و الأيسر و لو أننا أجرينا سباقا تصوريا بين إنسان العصور الأولى و إنسان القرن العشرين فجعلناهما فى صحراء أو جبال و عرة، و طلبنا منهما الوصول إلى نقطة معينة، فأيهما سينجح؟. الإنسان القديم سيستخدم فطرته و ينظر للنجوم و يستخدم حواسه كلها كالشم

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۹

و السمع و النظر و الذوق، و كذلك حواسه فوق الحسية للوصول، و سينجح فى ذلك. أما الإنسان الحديث فسيستخدم المنطق و الحسابات و سيحتاج إلى أجهزة الرصد و الاتصال بالأقمار الصناعية كى يستطيع تحديد موقعه و الوصول لما يريد، و لو لا هذه التقنيات سيكون صعبا عليه خصوصا إذا لم يكن من أهل مناطق الصحارى و الجبال أن ينجح فى مبتغاه.

الدماغ

الدماغ هو مركز السيطرة فى الجسم.

و هو يشغل الجزء الأعلى من الرأس، و يكون محميا بواسطة الجمجمة التى تحيط به. المخ هو الجزء الرئيسى من الدماغ، و يقسم الى نصفين: نصفى كرة المخ الايمن و الايسر. تكون فعاليات التفكير، و التعلم، و الاحساس و إرسال التعليمات فى الطبقة الرقيقة السنجابية و التى تغطى نصفى المخ. الطبقة الداخلية البيضاء تربط الاجزاء المختلفة للدماغ.

مقطع فى الدماغ مع شرح مبسط

الجملة العصبية و الطب النفسی، ج۲، ص: ۱۰

الفصل الثانی العقل و الروح و النفس

اشارة

إن نعم اللّه على الإنسان كثيرة ... وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوها إِنَّ الْإِنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (إبراهيم: من الآية ۳۴)، و لكن أهم نعمة هى هذه التركيبة العجيبة التى مكنت الإنسان من اقتحام ما حوله و ولوج العلوم و التقنيات الهائلة التى نراها و نتعامل معها يوميا و هى العقل، علما أن كل هذه التقنيات هى بواقع الحال محاكاة و تقليد لما حولنا من مخلوقات حية كانت أم جامدة و لا يوجد لحد الآن أى تقنية أو مكتشف أو جهاز لم يستفد من الأفكار و الأحوال التى حولنا و لم يحاكى أو يقلد ما نراه و نحسه و نتعامل معه يوميا، فالحاسبة تحاكى العقل البشرى و تقلده، و الطائرة تحاكى الطيور و هكذا مما لا حصر له، أضف إلى ذلك المواد الخام التى تحول الفكرة إلى واقع استخدامى و اللازمة لصناعة الأجهزة و المعدات و التقنيات كلها مستخرجة من الأرض أو من خلطها مع مواد صناعية اكتشفها الإنسان من واقع التجربة و البحث و هى كلها إما من بحار الأرض أو باطنها و ما تحويه من كنوز أو مما تجلبه النيازك و الشهب من مواد كونية أو ما تجلبه المحطات و السفن الفضائية من مواد لأغراض البحث و الدراسة، بل إنه حتى الذكاء الذى بواسطته تم اختراع و اكتشاف هذه التقنيات كلها جاءت و كما اكتشف مؤخرا بفعل فعاليات شمسية معينة تؤثر على حياة الإنسان و دورته البيولوجية و حسب صيغة عجيبة. ففى دراسة أجراها علماء روس نشرتها مجلة سبوتنك الروسية أثبت العالم الروسى (البروفيسور إدليس) فى أثناء تحليله المفصل للتطور الذى جرى على (الفيزياء النظرية) استطاع إثبات الفرضية القائلة بأن الاكتشافات العلمية كانت تسير بموجب نمط معين .. إذ لاحظ التواريخ التى نبغ فيها العلماء (هايجنر) و (لايبنتز) و (نيوتن) و (لومونوسوف) و (كولومب) و (فاراداى) و (ماكسويل) و نشروا أعمالهم .. لاحظ انتظاما زمنيا معينا: اكتشافات بارعة حصلت فى مراحل زمنية أطوالها (۱۱) سنة- و هذه مدة نشاط (المجموعة الشمسية) ذاتها .. و يقول الخبر أيضا:

نحن نعلم جميعا أن دورات الطبيعة (كدوران الكواكب و حركة الشمس و تغير

الجملة العصبية و الطب النفسی، ج۲، ص: ۱۱

الفصول) تؤثر فى الإنسان ... و لكن (الإبداع الباطنى) كيف يكون له أى ارتباط بعمليات (المنظومة الشمسية)؟ ... يبدو أن النشاط حين يزداد فى المنظومة الشمسية، يزداد المجال المغناطيسى للأرض، و لهذا تأثيره على الجهاز العصبى للإنسان .. فى الحقيقة، حتى العاملون فى حقل (المغناطيسية) يتكلمون عن الناس الذين لديهم (أعصاب ممغنطة) بدل (أعصاب لينة)، و فى (لينينغراد) درست أسماء النابغين و سنوات ميلادهم خلال الأربعة قرون الماضية .. و القوائم التى تجمعت ظهر فيها بوضوح أن ولادة الناس المبدعين و ذوى الذكاء العالى تتجمع فى عناقيد و تتبع مدد زمنية معينة .. فخلال الأربع مائة سنة كان هناك (۱۸) قمة تتجمع عندها أسماء البارزين المولودين فى تلك المدد .. و الفاصلة بين قمة و أخرى (۲۳) سنة- و هى الدورة المعروفة فى النشاط الشمسى. و لكن، هل هذه من باب المصادفة؟.

طيب نعلم الآن أن الشمس تؤدى دورا مهما فى العمليات الحياتية على سبيل المثال لمدة ملايين السنين كانت الحياة على كوكبنا تتطور أمام خليفة من المشعات الطبيعية.

و الإنسان يتسلم القسم الأكبر من (الغازات المشعة) و منتجات اليورانيوم المتفسخ .. و تلك المشعات تنفذ إلى الأجواء من التربة و الصخور. و كميتها تعتمد على عوامل منوعة .. و قد اكتشف العلماء الروس: أن تلك المشعات قد ازدادت محتوياتها بعد حدوث

اندلاع ألسن اللهيب المتوهجة من الشمس .. و ارتفاع مستوى الإشعاع يزامن غالبا العواصف الجو مغناطيسية لأنها قد أثيرت و هيجتها التقلبات المتتابعة القادمة من الشمس .. و هكذا حينما يحدث ارتفاع فى النشاط الشمسى. يحدث ارتفاع فى تركيز الغازات المشعة فى الجو ..

هذه الحقيقة دفعت العلماء الروس لأن يسألوا أنفسهم السؤال التالى: (إذا كانت قمم الإلهام تتبع الأحداث المغناطيسية و الشمسية الخارجة عن المألوف. و نتيجة لهذا يكون الهواء مشبعا بالغاز المشع. أ لا يكون هذا مؤثرا- بطريقة ما- فى تطور الجنين فيجعله مهيأ لإبداع عظيم ..؟ لقد نجحت التجارب فى البرهنة على أن للغاز المشع تأثيرا باعثا للنشاط على الجهاز العصبى مما يزيد فى قابليات عمله .. و ربما هذا يفسر لما ذا يكون العمل الفكرى أكثر إنتاجا فى أثناء تلك الساعات الصباحية أو المسائية، حين

الجملة العصبية و الطب النفسی، ج۲، ص: ۱۲

يكون فى الجو أعلى مقدار من الإشعاعات «۱»، فما ذا نستنتج من هذا البحث؟.

إن كل العلماء الذين ظهروا و سيظهرون و الذين اكتشفوا النظريات العظيمة كانوا يولدون و ينتجون إنتاجهم الذى يتصوره العامة بأنه نهاية العالم و يصوغون من حوله الكتابات و التعليقات و يذهبون إلى ما يذهبون إليه من تعصب لتلك النظرية أو تلك، جاء وفق نسق و ناموس و قانون أمر به اللّه سبحانه و تعالى و سنّه فى الآفاق و الأكوان ليسخره للإنسان كى ييسر عليه حياته، و نحن الآن نحاول فهمه بالمراقبة ثم ندعى عند كل نظرية تظهر على يد عالم بأنه يفسر لنا أصل الإنسان أو نفسيته أو أصل الكون و ما إلى ذلك و أن هذه النظرية قد انتهى العلم عندها و توقف و أنها لا جدال فيها حتى يأتى آخر بعد فترة زمنية أخرى ليدحض الأول و يقول أنا و ليس غيرى و هكذا .. أ ليس هذا باللّه عليكم أمر مضحك؟.

إن بعض العلماء يرون أن الموجات الإلكترونية التى تشكل بنية المادة، كما هو معروف الآن يمكن أن تكون موجات احتمالية (ytilibaborP fo sevaW) من غير وجود مادى مهما كان نوع هذا الوجود. و يتفق علماء آخرون مثل ادينغتون و جينز على أن الطبيعة النهائية للكون هى طبيعة عقلية، و فى هذا يقول ادينغتون ((إن مادة العالم هى مادة عقلية)) و يردف ((إن المادة العقلية ليست منتشرة عبر المكان و الزمان بل إن المكان و الزمان جزء من المخطط الدورى الذى هو فى نهاية المطاف مشتق من المادة العقلية نفسها)). أما جينز فيذهب مسافة أبعد و يعتبر العالم كله طبيعة عقلية كاملة، بل يجعله فكرة فى ذهن اللّه .. و أحدث النظريات التى طرحها عدد من كبار العلماء فى مطلع السبعينيات و نشرت خطوطها العريضة مجلة العلم و الحياة الفرنسية و ترجمتها مجلة النور المغربية تقول بالمقابل أو المعادل اللامادى للتراكيب المادية فى البيئة السديمية و الذرية على السواء، و أنه ما من إلكترون أو بروتون أو نيوترون أو جسم كونى كذلك إلا و تتواجد قبالته معادلاته اللامادية «۲». (۱) مقال نشرته جريدة الثورة العراقية بعددها ۹۵۴۱، الأربعاء ۸/ ۷/ ۱۹۹۸، ۱۴/ ربيع الأول/ ۱۴۱۹ ه، نقلا عن البحث الأصلى المنشور فى مجلة سبوتنك العلمية الروسية.

(۲) مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد الدين خليل، ص ۱۶- ۱۷، نقلا عن كتاب-

الجملة العصبية و الطب النفسی، ج۲، ص: ۱۳

و يقول العالم الكبير كريسى موريسون فى كتابه (العلم يدعو للإيمان enola dnats ton) seod naM، إن الأوكسجين و الهيدروجين و الكربون سواء كانت منعزلة أم على علاقاتها المختلفة بعضها مع البعض هى العناصر البيولوجية الرئيسية، و هى عين الأساس الذى تقوم عليه الحياة. غير أنه لا توجد مصادفة من بين عدة ملايين، تقضى بأن تكون كلها فى وقت واحد فى كوكب سيار واحد، بتلك النسب الصحيحة اللازمة للحياة!، و ليس لدى العلم إيضاح لهذه الحقائق أما القول بأن ذلك نتيجة المصادفة فهو قول يتحدى العلوم الرياضية «۱».

أما العالم الكبير جون كليفلاند كوثران «۲» فيقول: إن الكون المادى يسوده النظام و ليس الفوضى، و تحكمه القوانين و ليس المصادفة أو التخبط، فهل يتصور عاقل أو يفكر أو يعتقد أن المادة المجردة من العقل و الحكمة قد أوجدت نفسها بنفسها بمحض

الصدفة؟، أو أنها هى التى أوجدت هذا النظام و تلك القوانين ثم فرضته على نفسها؟، لا شك أن الجواب سوف يكون سلبيا. بل أن المادة و الطاقة تحولهما يتم وفقا لقوانين معينة «۳».

و أزيد على قول العلماء الأفاضل هذا أن من يقول فى موضوع تكون الكون مصادفة، و يعزى كل أمر من أمور المادة و تكونها و الخلائق و عجائبها إلى الصدفة و إلى الطبيعة، حدود العالم لسوليفان (صفحات مختلفة)، و مجلة النور المغربية العدد الثامن، السنة الرابعة ۱۹۷۷.

(۱) مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، د. عماد الدين خليل، ص ۵۶، نقلا عن كتاب موريسون.

(۲) من علماء الكيمياء و الرياضيات- دكتوراه من جامعة كورنل- رئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث، أخصائى فى تحضير النترازول و تنقية التنجستون.

(۳) عن كتاب، اللّه يتجلى فى عصر العلم، و فيه شهادات ل ۳۰ عالم من كبار علماء الدنيا و من المخترعين و المستكشفين و العباقرة، تحرير جون كلوثر مونسما، ترجمة الدمرداش عبد المجيد سرحان، ط/ ۳، مؤسسة الحلبى، القاهرة، ۱۹۶۸. نقلها الدكتور عماد الدين خليل فى كتابه مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، ص ۶۴- ۶۵.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۱۴

فإننى أدعوه أولا إلى الذهاب لدراسة قانون الاحتمالات و نظرية الاحتمالات و هى نظرية معروفة فى علم الرياضيات و الإحصاء لها قوانينها و تجاربها، ليفهمها جيدا ثم يطبق كلامه هذا (الصدفة) عليها ليرى كم يحتاج إلى دقة حصول الحادثة المعينة فى الزمن و المكان المطلوبين، و كم تكون احتمالية حدوث هذا الحدث، ثم يأتى ليحدثنا بالصدفة، فالكلام الفلسفى سهل، و لكن التطبيق العلمى هو الحاسم.

مؤخرا تم اكتشاف علاقة وطيدة بين الزلازل التى تحصل فى داخل الشمس بالانفجارات النووية التى تحصل على سطحها و من ثم تأثيرات ذلك على الأحياء على الأرض. اكتشف هذا الأمر باحثين عديدين فى مجال فيزياء الشمس فى الولايات المتحدة الأمريكية، و تم رصد مبالغ ضخمة لهذا العمل العملاق تتعلق بمراقبة الزلازل و البراكين الشمسية، و من أهمها و أخطرها تأثير الانفجارات النووية الشمسية على البشر و تصرفاتهم لما تبعثه من اشعاعات كهرومغناطيسية «۱».

فى العقود الأولى من القرن العشرين كان أغلب العلماء يستهزءون بموضوع الروح و أثرها فى عالمنا، و عرفوا الإنسان على أنه مادة فقط، ثم ما لبث هذا الاعتقاد طويلا- حتى أصبح التصور الحديث- مدعوما بتجارب و أبحاث طويلة و كتب ألفت حول هذا الموضوع- يجزم بوجودها و أثرها بحيث أصبح الكثير من العلماء يطلبون إعادة صياغة العلوم بإدخال البعد الروحى الذى أهمل سابقا و أثبتت البحوث أنه على درجة كبيرة من الأهمية ..

فى العام ۱۹۳۵ م قدم عالم الجملة العصبية (أدلس) بحثه الذى لخص فيه نظريته بوجود الروح فى الإنسان و أنه لا يمكن أن يكون مكون من مادة فقط و ذلك بعد عدة أعوام من البحوث التى أجراها على حيوانات مختلفة، فاستهزأ به العالم الكبير (بنفيلد) على أساس أن هذا الكلام هراء و أن الإنسان مادة فقط تفنى بموته و وعده بأنه سيبحث على الإنسان خاصة ليثبت له خطأ نظريته. (۱) خبر أذاعته إذاعة صوت أمريكا بتاريخ ۲۳/ ۳/ ۲۰۰۰ م و التقت به مع الباحثين فى هذا العمل.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۱۵

البراكين و الانفجارات و الرياح الشمسية تؤثر على الأحياء فى الأرض من بشر و حيوان و نبات و كذلك الجماد كما أثبت حديثا. و فى الصورة انفجار أو بركان شمسى- لاحظ النتوءات البيضاء- نتج عنه حقل كهرومغناطيسى ينتقل إلى الأرض بشكل يعرف بالرياح الشمسية حصل يوم ۲/ ۶/ ۱۹۹۸ م و فى تمام الساعة ۰۵ ر ۱۰ صباحا بتوقيت نيويورك، و هو ما يؤثر على نشاطات كثيرة فى الأرض.

و بعد ثلاثين عاما من البحوث على ۱۰۵۰ مريض ألف خلالها كتبا و بحوثا من أهمها كتاب (لغز العقل البشرى) لخص فيه تجربته فى

عام ۱۹۷۴ م و ذكر أنه بعد هذا

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۲، ص: ۱۶

الوقت الطويل آمن بما قاله (أدلس) أن الإنسان فيه روح لا يستطيع العلم معرفة كينوناتها و ماهيتها، و كان من ضمن ما توصل له بعد هذه البحوث المعقدة التى أجراها على كل أجزاء الدماغ البشرى و تعرف خلالها على كل وظائفه أن الإرادة و العقيدة و الإيمان ليست من ضمن اختصاصات الدماغ، إذ لا يوجد فيه أى مكان مخصص لمثل هذه الأمور. ثم أتى بعدهما (د. مودى) الذى بحث فى تقنية خروج الروح من الجسد ليؤكد حقيقة وجود الروح فى الإنسان بعد دراسته للمرضى الذين يتوقف قلبهم للحظات، ثم يعاد عمل القلب باستخدامات تقنية معينة فأثبت أن هؤلاء المرضى يمرون ب ۱۱ مرحلة قبل رجوعهم إلى الوضع الطبيعى و أن شيئا ما يخرج منهم ثم يعود، و هذه البحوث مثبتة و موثقة بشكل علمى رصين و منشورة فى أرصن المجلات العالمية «۱» ..

و مؤخرا تبنى علماء روس فى الأعوام الخمسة الأخيرة من القرن العشرين محاولة دراسة إمكانية قياس وزن الروح و كانت بعض محاولاتهم تبشر بوجود أمل لهذا معتمدين على إمكانات نظرية و عملية و حقلية معقدة فى علوم الفيزياء و الكيمياء و الرياضيات «۲».

و فى بحث آخر أجرى مؤخرا فى الولايات المتحدة حول أثر (الدعاء بالشفاء) الذى يدعوه أهل المرضى لمرضاهم، أثبت الباحثون أن نسبة شفاء المرضى الذين يدعى لهم بالشفاء أكثر من أصحابهم من الذين لم يجرى لهم هذا الدعاء بحوالى ۱۰٪، على الرغم من أن الفريقين أصيبوا بنفس المرض و نفس التقنيات و الإجراءات الطبية للعلاج، و استنتجوا أن هذه النسبة هى نسبة الأثر الروحى للدعاء و نقاوة القلب «۳».

كل هذه الأدلة تدل على أن أمام الإنسان أشواط طويلة من العلوم ليلجها و أن من يعتقد أنه قد وصل إلى الدرجة العلمية التى تؤهله بأن يستهزأ بأى شيء حتى و لو كان خرافة- حسب اعتقاده- قبل أن يدرسه و يتمحص منه و يصبر على البحث و إن طال (۱) محاضرة الدكتور أحمد عدنان اختصاص الجملة العصبية.

(۲) خبر نشرته الصحف العراقية فى صيف عام ۱۹۹۸ لم أستطع الحصول على نسخة الصحيفة التى قرأت الخبر فيها، إلا أن الخبر كان نقلا عن مجلة سبوتنك الروسية الشهيرة فى عددها الذى نشر قبيل هذا التاريخ.

(۳) نشر هذا البحث فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ۱۹۹۸ م.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج ۲، ص: ۱۷

عشرات السنين، فإنه يستهزأ بالعلم نفسه بل يستهزأ بنفسه قبل كل شىء. و أخص بالذكر هنا الناس الذين ينكرون وجود الجن و الملائكة و الشياطين فمنهم من يحاول الاستهزاء بالأمر، و منهم من يحاول إدخاله فى بحوث مقارنة مع مفاهيم أخرى كالهندوسية و المجوسية و مفاهيم الأديان الأخرى، و منهم غير ذلك، أقول لهم بأن يقدموا لنا دليلا علميا واحدا يدل على عدم وجود الجن أو مواصفاته أو عدم إمكانية تأثيره على الإنسان فقد يأتى يوم .. و لا أظنه ببعيد يثبت هذا الأمر فتصبحون عندئذ فى موقف لا تحسدون عليه «۱». فالكلام العمومى سهل و فلسفة الأشياء حسب معتقدات أى إنسان ليست بصعبة، و لكن لكى تثبت للناس ما تعتقد عليك أن تبحث و تتعب نفسك بالبحث حتى تعطى الدليل العلمى القاطع إما لصالحك و إما عكس ذلك و لكن فى كل الأحوال فهو فى صالح البشرية، فقد قدمت لها ما يعينها على فهم الأمور بشكل صحيح.

و للّه در كلمات الدكتور روبرت موريس بيج «۲» إذ يقول: إذا أراد الإنسان أن يتثبت من صحة المعلومات الغيبية التى يخبره بها شخص آخر، فلا بد من أن يشترك فى التجربة و يتهيأ لها حتى يستطيع أن يحكم عليها، و كذلك الحال فيما يتعلق بالإيمان باللّه، فلا بد أن يدرس الإنسان أولا- نوع العلاقات التى يمكن أن تكون بينه و بين خالقه، و ما ينبغى أن تكون عليه هذه العلاقات، فإذا درس الإنسان الشروط اللازمة التى يلزم توفرها لقيام هذه العلاقة و اتجه بقلبه و كليته نحو تحقيق هذه الشروط فإنه سوف يشاهد الحقيقة الكاملة و عندئذ يغمر الإيمان قلبه و يؤثر فى حياته و لا يدع فى نفسه مجالا للشك، و إذ ذاك يكون اللّه أقرب إليه من نفسه و يصير

إیمانه به یقینا «۳». (۱) انظر کتابنا (المنظار الهندسی للقرآن الکریم).

(۲) عالم الطبیعة الحاصل علی الدکتوراة فی العلوم من جامعة هاملین، کان أول من اکتشف الرادار فی العالم سنة ۱۹۳۴، و سجل نحو ۳۷ بحثا فی الرادار و ألف الکثیر من الکتب.

(۳) عن کتاب، اللّه یتجلی فی عصر العلم، و فیه شهادات ل ۳۰ عالم من کبار علماء الدنیا و من المخترعین و المستکشفین و العباقرة، تحریر جون کلوثر مونسما، ترجمة الدمرداش عبد المجید سرحان، ط/ ۳، مؤسسة الحلبی، القاهرة، ۱۹۶۸. نقلها الدکتور عماد الدین خلیل فی کتابه مدخل إلی موقف القرآن الکریم من العلم، ص ۶۳.

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۱۸

إن أهم موضوع یجب أن نضعه فی ذاکرتنا عند قراءتنا لأی مصدر فی موضوع الإعجاز هو أن القرآن العظیم هو الحق المطلق الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه و أن أی نظریة قدیمة أو حدیثة فی أی مجال من مجالات العلوم و ما ستطرأ من تغییرات علیها أو ما سیکون فی المستقبل من علوم و نظریات هی حصیلة الفکر البشری و هذا الفکر هو نتیجة لفهم الإنسان لعقله الذی خلقه اللّه سبحانه و تعالی، هذا العقل الذی أثبت العلم الحدیث أنه لم یتم لحد الآن إلا استغلال ۱۵- ۲۰٪ فقط منه و أن أکثر من ۸۰٪ من أسراره و إمکانیاته غیر مستغلة من الناحیة الوظیفیة و العملیاتیة، فکل ما نحن فیه من تقدم علمی و تقنی هو حصیلة فهمنا لهذه النسبة من المخ البشری، و أن کل هذه النظریات قدیمها و حدیثها حتی آخرها ((الاستنساخ البشری و التناغم البایولوجی)) و غیرها هی من هذه الحصیلة و کل ما سیأتی من نظریات و تطبیقات خصوصا و نحن مقبلون علی عصر الاتصالات و ما فیه من معلومات هائلة قد تؤدی إلی نشوء نظریات تحدث ثورات فی العلوم بشتی أنواعها و تؤدی بالتالی إلی استغلال و فهم أکثر للمخ البشری من النسبة السابقة هذه، و بالتالی تؤدی إلی معلومات و نظریات أکثر، و هکذا، و هی قابلة للدحض و التطویر و الإلغاء و التعدیل حسب تطور البشر و معلوماتهم و قابلیاتهم علی جمع المعلومات کما حصل لنظریة أینشتاین حیث إنه فی بعض اشتقاقاته أثبت أنه لا وجود لشیء اسمه فعل ورد فعل فی الکون، و أن کل ذلک هو بسبب الموجات و الإشعاعات و هذا دحض لنظریات نیوتن فی الحرکة و الجاذبیة و غیرها مع أن الأخیرة لا زالت تدرس و تطبق و تبنی علیها نظریات و تطبیقات تقنیة علی أعلی مستوی و هکذا نری أن العقل البشری مستمر باکتشاف نفسه.

فبعد مضی ۱۵ عاما من الدراسة و بمساعدة فریق عمل بحثی متخصص عمل معه أعلن البروفسور (آرثر فریدمان) أستاذ جراحة الجملة العصبیة فی کلیة الطب بجامعة کولورادو الأمریکیة التسلیم بدون قید أو شرط للدماغ البشری بسبب عدم استطاعته فک رموزه و أسراره و تکوینه و طریقة عمله فی حل إشارات الحواس الخمسة التی ترد إلیه «۱».

إن کل ما نتصوره علما عظیما و نهائیا هو لیس کذلک حتی بالنسبة لعقولنا التی (۱) جریدة الجمهوریة العراقیة، الاثنین، ۱۳ صفر ۱۴۹۱، ۸ حزیران ۱۹۹۸ م، الصفحة الأخیرة.

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۱۹

هی قاصرة أمام عظمة هذا الکون و عظمة هذا الإنسان لأننا ندور فی حلقات و دوامات جاهدین کی نحاول فهم ما یدور حولنا و کل جیل یأتی یعتقد بأنه أتی بما لم یأت به أحد، أما جیلنا هذا فاعتقد (مسکینا) انه سیقهر و یتمکن مما حوله حتی سمحنا لأنفسنا أن نتکلم بأسلوب متعال بینما نحن أضعف من أضعف الحشرات و المیکروبات المجهریة منها و التی بسببها یموت الکثیرون یومیا.

إن ما قام به العلماء الروس و غیرهم هو محاولة ربط لحالات معینة عبر الزمن للخروج بتفسیر قد یصیب و قد یخطأ إلا أنه مع أهمیته لا یخرج عن إطار ربط. فکل ما نفعله هو ربط الأمور و الاستفادة القصوی قدر الإمکان منها لفائدة الناس و لما نعتقده.

یقول الدکتور المهندس أحمد محمد إسماعیل فی کتابه ما نصه:

إن الروح من أمر اللّه و یصعب وصف عالمها لأن القوانین التی تحکمها هی غیر قوانین الأرض. ففی زمن الرسول الکریم کان البشر

علی درجـة قلیلـة من العلم و نحن الیوم نعیش فی زمن العلم و سـنحاول فهم بعض جوانب الروح و بنسبة اجتهادیة تعادل ما أوتینا من العلم. لقد قدر أینشـتاین نصف قطر الکون ب ۳۵* ۱۰ ۱۲ سـنة ضوئیة أی ما یعادل ۶، ۳* ۱۰ ۲۳ کیلومتر. و استنبطنا و باجتهاد معزز بالأدلة أن المسافة التی تقطعها الروح فی رحیلها إلی خالقها ۹۲۷، ۱* ۱۰ ۲۳ کیلومتر أی ما یعادل ۱۹* ۱۰ ۱۲ سنة ضوئیة (مضاعفات إحدی الثوابت القرآنیة الذی هو الرقم ۱۹) عند ما تسیر الروح بسرعة الضوء.

لو أن الروح تسـیر بـأکثر من سـرعة الضوء لأـدی ذلـک و بموجب نظریـات أینشـتاین أن تکون کتلـة الروح، أبعادها، زمنها سالبـة فی اعتبـارات القیاسـات الأرضیـة و ربمـا یعنی هـذا أن الروح تبـدأ رحلتهـا المعاکسـة فی عـالم الأرواح و زمنها إعادة لتاریخها و تـذکیرا لأعمالها و هو زمن الحساب. لعل بعد الأرض عن حدود الکون ثابت رغم تمدد الکون لأن الأرض تحقق تناسبا ثابتا عن مرکز الکون و حـدوده فی عملیـة التمدد الکونی. إذا کانت الروح تسیر بسـرعة الضوء .. ألا یمکن أن تکون طاقة کهرومغناطیسـیة تحمل معها فی رحیلها خزین تاریخ الإنسان «۱». (۱) أنظمة ریاضیة فی برمجة حروف القرآن الکریم، د. أحمد محمد إسماعیل، ص ۱۶۳.

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۲۰

النفس و الروح من المنظور القرآنی:

اختلف الناس فی النفس و الروح فقال بعضـهم هما شـیء واحد مسـمی اسـمین. کما یقال إنسان و رجل و هما الدم أو متصلان بالدم یبطلان بذهابه، و الدلیل علی ذلک أن المیت لا یفقد من جسمه إلا دمه، و احتجوا لذلک أیضا من اللغة، فالعرب یقولون:

نفست المرأة إذا حاضت، و نفست من النفس، و بقولهم للمرأة عند ولادتها نفساء لسیلان النفس و هو الدم، و ربما لم یزل جاریا علی ألسنة الناس من قولهم: سالت نفسه إذا مات.

و قال آخرون: هما شـیئان، فالروح باردة، و النفس حارة، و لهـذا النفخ یکون من الروح و لذلک تراه باردا، بخلاف النفس من النفس فإنه سـخین. و سـمیت العرب النفخ روحا لأنه من الروح یکون علی مذهبهم فی تسـمیة الشـیء بما کان متصـلا به، و سـببا له فیقولون للنبات ندی لأنه بالندی یکون، و یقولون للمطر سماء لأنه من السماء ینزل.

و اللّه تعـالی یقـول: وَ یَسْـئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی وَ مـا أُوتِیتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِیلًا (۸۵) (الإسـراء: ۸۵). و قـد ذهب المفسـرون علی أن الروح روح الحیاة فی هذه المواضع، و ذهب بعضـهم إلی أنه ملک من الملائکة یقوم صـفا و تقوم الملائکة صـفا «۱».

جاءت کلمة روح فی القرآن الکریم ۴ مرات و کما یأتی:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ (۱۹۳)، (الشعراء: ۱۹۳) ... و تعنی جبریل علیه السلام ...

رَفِیعُ الـدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ یُلْقِی الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشـاءُ مِنْ عِبـادِهِ لِیُنْـذِرَ یَوْمَ التَّلاـقِ (۱۵)، (غافر: ۱۵) ... و تعنی جبریـل علیه السـلام ... یَوْمَ یَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِکَهُ صَفًّا لاـ یَتَکَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَ قـالَ صَواباً (۳۸)، (النبأ: ۳۸) ... و تعنی جبریـل علیه السلام ... و المرة الرابعة هی الآیة التی ذکرناها آنفا.

أما کلمة نفس فجاءت ۷ مرات و أنفس ۵ مرات، و کما یأتی:

وَ کَتَبْنا عَلَیْهِمْ فِیها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَ الْعَیْنَ بِالْعَیْنِ وَ الْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَ الْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَ الْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ کَفَّارَةٌ لَهُ (۱) تفسیر الأحلام الکبیر لابن سیرین، ص ۷- ۸، طبعة دار الفکر، بیروت، لبنان، ۱۴۲۲ ه، ۲۰۰۰ م.

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۲۱

وَ مَنْ لَمْ یَحْکُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الظَّالِمُونَ (۴۵)، (المائدة: ۴۵).

* قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّکُمْ عَلَیْکُمْ أَلَّا تُشْرِکُوا بِهِ شَیْئاً وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُکُمْ وَ إِیَّاهُمْ وَ لا

تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَ ما بَطَنَ وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (۱۵۱)، (يوسف: ۵۳).

وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً (۳۳)، (الإسراء: ۳۳).

وَ الَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ وَ لا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً (۶۸)، (الفرقان: ۶۸).

وَ أَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى (۴۰)، (النازعات: ۴۰).

يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (۲۷)، (الفجر: ۲۷).

وَ إِنِ امْرَأَةٌ خافَتْ مِنْ بَعْلِها نُشُوزاً أَوْ إِعْراضاً فَلا جُناحَ عَلَيْهِما أَنْ يُصْلِحا بَيْنَهُما صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً (۱۲۸)، (النساء: ۱۲۸).

وَ تَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ (۷)، (النحل: ۷).

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۴۲)، (الزمر: ۴۲).

يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوابٍ وَ فِيها ما تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيها خالِدُونَ (۷۱)، (الزخرف: ۷۱).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۲۲

إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْماءٌ سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللَّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدى (۲۳)، (النجم: ۲۳).

كما و جاءت بصيغة نفسك ۹ مرات منها ما يخص الذات الإلهية، و يلاحظ من أن النفس و الأنفس فيما يتعلق بالبشر جاءت مقترنة مع الأعمال الإرادية حسنة أم سيئة، فهى تمثل أوامر عقلية إرادية تأمر الشخص بفعل كذا و كذا، فهى ربيبة ظروف الشخص و بيئته و ما اكتسبه منها من عادات و تصرفات. فهذه النفس أما هادية للإنسان أو مهلكة إياه لذلك فهى التى تستحق المجازاة إما بالثواب أو بالعقاب، لذلك يصفها صلّى اللّه عليه و سلّم بأنها أكبر أعداء الإنسان و على الإنسان أن يجاهدها و لا يستجيب لكل طلباتها، فيربيها على الفضيلة و عدم اتباع شهواتها التى لا تنتهى.

و حول التأثير الذى أشرنا إليه فى بداية الفصل من أن هناك تأثيرات بيولوجية و فيزيولوجية للإشعاعات القادمة من الكواكب و الأفلاك و النجوم على البشر و الحيوانات و النبات، و خصوصا على ذكاءه و هو ما عرضناه من بحث الفريق الروسى و كذلك المؤتمر الذى عقد فى أمريكا نهايات عام ۲۰۰۰ م، و كذلك ما أكدته البحوث من أن الهيجانات الجنسية و الجرائم تزداد عند اكتمال القمر تمام البدر و علاقة ذلك بظاهرة المد و الجزر فى السوائل الأرضية كالمحيطات و البحار و الأنهار و كذلك سوائل الجسم البشرى، بالإضافة إلى تأثير الظلمات على السلوك البشرى و الحيوانى. فإن القرآن الكريم شخص أيضا هذا الأمر و علم رسوله صلّى اللّه عليه و سلّم كيفية الاستعاذة من هذه الأشياء كلها و من أمور السحرة و الشياطين و أهل الظلمات و شرور الحيوانات المفترسة و الجن و سيئى البشر، بقوله تعالى فى المعوذتين:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (۱) مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (۲) وَ مِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (۳) وَ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ (۴) وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ (۵) (الفلق).

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (۱) مَلِكِ النَّاسِ (۲) إِلهِ النَّاسِ (۳) مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ (۴) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (۵) مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ (۶) (الناس).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۲۳

الفصل الثالث الأحلام

اشارة

الحلم و الرؤیا هی من الأمور الغامضة حتی فی عصر العلم و التقنیات الذی نعیش، فهی من التعقید بمکان بحیث یصرف علی تجاربها و بحوثها مبالغ طائلة للوصول إلی حقیقة الأمر و التمکن من السیطرة و التحکم به و لو لدرجة بسیطة. و قد تکلمنا فی کتاب الصیدلة و العلاج عن البحوث التی أثبتت فوائد العلاج بالصلاة و القرآن فی تنظیم الساعة البیولوجیة و تنشیط الذاکرة و تزکیة النفس و الترویح عنها. و لکن یا تری کیف یتم النوم فی الدماغ، هذا السؤال الذی حیر العلماء و لا یزال؟! ..

ما ذا یحدث عند النوم:

الشخص البالغ ینام ۸ ساعات فی الیوم و الطفل ینام حوالی ۱۶– ۱۸ ساعة یومیا، و لکن هذا الرقم یقل مع زیادة العمر. عند ما یبدأ النوم بعد الیقظة، ندخل فی نوم عمیق و لکن دون حرکة سریعة للعینین. بعد فترة ۹۰ دقیقة ندخل فی مرحلة النوم مع الحرکة السریعة للعینین و فیها نری الأحلام، إذ تتحرک العینان بسرعة مثلما نری فیلما سینمائیا، و حوالی ۱۵ دقیقة من النوم هی فترة النوم مع حرکة النوم السریعة ..

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۲۴

موقع مرکز السیطرة علی النوم فی الدماغ مراحل النوم خلال ۸ ساعات

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۲۵

الإشارات الکهربائیة التی توضح فعالیة الدماغ إشارات الدماغ الکهربیة عند النوم الحالم النوم الحالم عند اقتراب ساعات الصباح و هو یشکل حوالی ربع ساعات النوم عند الشخص البالغ

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۲۶

إشارات الدماغ الکهربیة عند النوم العمیق نوبات النوم العمیق تتخللها نوبات النوم الحالم (الخطوط البیضاء الشاقولیة) کل ۹۰ دقیقة و تقل فترة النوم العمیق کلما اقتربنا من الصباح عند البالغین

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۲۷

إشارات الدماغ الکهربیة عند الیقظة مکثفة و قصیرة فترة الیقظة قبل و بعد النوم عند البالغین و موقع السیطرة علی ذلک فی الدماغ یرسل الدماغ دائما إشارات کهربائیة، تسمی الأمواج الدماغیة و التی تمثل فعالیته

الجملة العصبیة و الطب النفسی، ج۲، ص: ۲۸

العصبیة، فعند ما نکون یقظین أو حالمین عند النوم تکون هذه الإشارات شدیدة.

یمکن الکشف عن مستوی الفعالیة داخل الدماغ للکشف عن المراحل المختلفة التی تؤلف النوم اللیلی بواسطة ربط أجهزة قیاس خاصة فی رأس الشخص النائم یستطیع العلماء من خلالها دراسة الإشارات الکهربائیة للدماغ أو موجات الدماغ علی الشاشة، فعند ما یکون الإنسان یقظا أو عند ما یحلم تولد فعالیة الدماغ إشارات سریعة و شدیدة، و فی النوم العمیق تقل هذه الإشارات بدرجة کبیرة، و الأشکال أدناه تبین أنواع الموجات الدماغیة فی حالات النوم و الیقظة.

میکانیکیة الحلم:

عند ما یأخذ المرء حالة الاسترخاء و یغمض عینیه، یبدأ تمدد الألیاف العضلیة المتقلصة بالتناقص فیقل التوتر العضلی فی الجسم و

تتوقف تحركات العين التى تشاهد أثناء اليقظة، ثم تبدأ حرارة المخ بالانخفاض التدريجى بشكل ضئيل يصل إلى أجزاء من الدرجات المئوية، و السبب يعود إلى الفعالية الكهربية للمخ فتتبدل الموجات سريعة التذبذب واطئة الارتفاع إلى موجات بطيئة التذبذب عالية الارتفاع، فيدخل الإنسان فى مرحلة نوم التذبذب البطىء. هذه الموجات كما أثبت حديثا تتبدل بأوقات محددة و تعود إلى وضعها فى أوقات اليقظة، فتتحرك بسرعة فى كل الاتجاهات، فعدها العلماء مستقلة عن النوم و سموها مدة تحرك العين السريع أو نوم الريم (mer) مختصر كلمات (tnemevom eye dipar) و هو ما يعرف بالنوم الحالم (الخطوط البيضاء الشاقولية فى الرسوم السابقة).

يحدث نوم الريم بنوبات، نوبة نوم بطىء تتبعها بمعدل ۹۰ دقيقة نوبة نوم سريع يتراءى للنائم خلالها أحلام حية يصفها إذا ما أوقظ خلالها، و يتخلل هذه العملية إفرازات لمواد كيميائية عديدة تحدث بشكل مسيطر عليه من الدماغ الذى لا يغيب أثناء النوم كما يعتقد البعض.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۲۹

أما لما ذا لا ـ نحرك أجسامنا و أطرافنا أثناء نوم الريم كما نفعل فى اليقظة، فالجواب العلمى هو أن العصبونات التى تولد تحرك العضلات تكون فى حالة كبت خلال نوم الريم، لذلك فإن عضلات الجسم تفقد الكثير من توترها و تصبح كأنها مشلولة.

هذه الحقيقة العلمية ثبتها القرآن الكريم قبل أكثر من ۱۴۰۰ عام فى آيات و أحاديث تتعلق بالأحلام، و سنأخذ منها بعض النماذج.

فى قوله تعالى: وَ تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذاتَ الْيَمِينِ وَ ذاتَ الشِّمالِ وَ كَلْبُهُمْ باسِطٌ ذِراعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً (۱۸) (الكهف: ۱۸). فقوله تعالى (تَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَ هُمْ رُقُودٌ) أى تتوقع أنهم ليسوا نياما و لكنهم غارقين فى النوم بسبب أن عيونهم كانت مفتوحة، ثم قوله تعالى (نُقَلِّبُهُمْ) أى أنهم ليسوا من يقوم بفعل التقليب و تحريك الأطراف، بل أنه جاء بأمر اللّه تعالى لغرض طبى آخر هو أن لا يصابوا بقرحة الفراش إذا ما ظلوا نائمين على جانب واحد. و لو أنك رأيتهم لعجبت من أمرهم و لملأك الرعب من رؤية أناس نائمين بأعين مفتوحة.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۰

بعض أنواع الإشارات الدماغية أثناء المشى (أعلى اليسار)، نوم الريم (أسفل اليسار)، و النوم الاعتيادى ثم يأتى التفسير القرآنى العظيم للأحلام و الرؤى بقوله تعالى:

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرى إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (۴۲) (الزمر: ۴۲).

و قد فسرت كما يأتى:

۱- فى لسان العرب لابن منظور يقول فى الجزء (۶، ص ۲۳۴- ۲۳۵): (أنفس و نفوس قال أبو خراش فى معنى النفس الروح:

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۱

نجا سالم و النفس منه بشدقه و لم ينج إلا جفن سيف و مئزرا

قال ابن برى الشعر لحذيفة بن أنس الهذلى و ليس لأبى خراش كما زعم الجوهرى و قوله نجا سالم و لم ينج كقولهم أفلت فلان و لم يفلت إذا لم تعد سلامته سلامة و المعنى فيه لم ينج سالم إلا بجفن سيفه و مئزره و انتصاب الجفن على الاستثناء المنقطع أى لم ينج سالم إلا جفن سيف و جفن السيف منقطع منه و النفس هاهنا الروح كما ذكر و منه قولهم فاضت نفسه، قال ابن خالويه النفس الروح، و النفس ما يكون به التمييز و النفس الدم و النفس الأخ و النفس بمعنى عند و النفس قدر دبغة قال ابن برى أما النفس الروح و النفس ما يكون به التمييز فشاهدهما قوله سبحانه: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها فالنفس الأولى هى التى تزول بزوال الحياة و النفس الثانية التى تزول بزوال العقل و أما النفس الدم فشاهده قول السموأل:

تسيل على حد الظبات نفوسنا و ليست على غير الظبات تسيل

و إنما سمى الدم نفسا لأن النفس تخرج بخروجه و أما النفس بمعنى الأخ فشاهده قوله سبحانه فَإِذا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلى أَنْفُسِكُمْ و أما التى بمعنى عند فشاهده قوله تعالى حكاية عن عيسى- على نبينا محمد و عليه الصلاة و السلام- تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَ لا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ أى تعلم ما عندى و لا أعلم ما عندك و الأجود فى ذلك قول ابن الأنبارى إن النفس هنا الغيب أى تعلم غيبى لأن النفس لما كانت غائبة أوقعت على الغيب و يشهد بصحة قوله فى آخر الآية قوله إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ كأنه قال تعلم غيبى يا علام الغيوب و العرب قد تجعل النفس التى يكون بها التميز نفسين و ذلك أن النفس قد تأمره بالشىء و تنهى عنه و ذلك عند الإقدام على أمر مكروه فجعلوا التى تأمره نفسا و جعلوا التى تنهاه كأنها نفس أخرى. و النفس يعبر بها عن الإنسان جميعه كقولهم عندى ثلاثة أنفس). (روى عن ابن عباس أنه قال لكل إنسان نفسان إحداهما نفس العقل الذى يكون به التميز و الأخرى نفس الروح الذى به الحياة و قال أبو بكر بن الأنبارى من اللغويين من سوى النفس و الروح و قال هما شىء واحد إلا أن النفس مؤنثة و الروح مذكر قال: و قال غيره الروح هو الذى به الحياة و النفس هى التى بها العقل فإذا نام النائم قبض اللّه نفسه و لم يقبض روحه و لا يقبض الروح إلا عند الموت قال و سميت

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۲

النفس نفسا لتولد النفس منها و اتصاله بهما كما سموا الروح روحا لأن الروح موجود به و قال الزجاج لكل إنسان نفسان إحداهما نفس التميز و هى التى تفارقه إذا نام فلا يعقل بها يتوفاها اللّه كما قال اللّه تعالى و الأخرى نفس الحياة و إذا زالت زال معها النفس و النائم يتنفس قال و هذا الفرق بين توفى نفس النائم فى النوم و توفى نفس الحى، قال و نفس الحياة هى الروح و حركة الإنسان و نموه يكون به و النفس الدم و فى الحديث ما ليس له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا مات فيه و روى عن النخعى أنه قال كل شىء له نفس سائلة فمات فى الإناء فإنه ينجسه أراد كل شىء له دم سائل و فى النهاية عنه كل شىء ليست له نفس سائلة فإنه لا ينجس الماء إذا سقط فيه أى دم).

۲- تفسير البيضاوى (ج/ ۵، ص ۶۹): (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها أى يقبضها عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها و تصرفها فيها إما ظاهرا و باطنا و ذلك عند الموت أو ظاهرا لا باطنا و هو فى النوم فيمسك التى قضى عليها الموت و لا يردها إلى البدن و قرأ حمزة و الكسائى قضى بضم القاف و كسر الضاد و الموت بالرفع و يرسل الأخرى أى النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى أجل مسمى هو الوقت المضروب لموته و هو غاية جنس الإرسال و ما روى عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما أن فى ابن آدم نفسا و روحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل و التمييز، و الروح التى بها النفس و الحياة فيتوفيان عند الموت و تتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه إن فى ذلك من التوفى و الإمساك و الإرسال لآيات دالة على كمال قدرته و حكمته و شمول رحمته لقوم يتفكرون فى كيفية تعلقها بالأبدان و توفيها عنها بالكلية حين الموت و إمساكها باقية لا تفنى بفنائها و ما يعتريها من السعادة و الشقاوة و الحكمة فى توفيها عن ظواهرها و إرسالها حينا بعد حين إلى توفى آجالها أم اتخذوا بل اتخذت قريش من دون

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۳

اللّه شفعاء تشفع لهم عند اللّه قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا و لا يعقلون و لو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر و لا تعلم).

۳- تفسير الطبرى (ج/ ۳۴، ص/ ۹): (قال يجمع بين أرواح الأحياء و أرواح الأموات فيتعارف منها ما شاء اللّه أن يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت و يرسل الأخرى إلى أجسادها، حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله اللّه يتوفى الأنفس حين موتها قال تقبض الأرواح عند نيام النائم فتقبض روحه فى منامه فتلقى الأرواح بعضها بعضا أرواح الموتى

و أرواح النيام فتلتقى فتساءل قال فيخلى عن أرواح الأحياء فترجع إلى أجسادها و تريد الأخرى أن ترجع فيحبس التى قضى عليها الموت و يرسل الأخرى إلى أجل مسمى قال إلى بقية آجالها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد فى قوله اللّه يتوفى الأنفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها قال فالنوم وفاة فيمسك التى قضى عليها الموت و يرسل الأخرى التى لم يقبضها إلى أجل مسمى و قوله إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره إن فى قبض اللّه نفس النائم و الميت و إرساله بعد نفس هذا ترجع إلى جسمها و حبسه لغيرها عن جسمها لعبرة و عظة لمن تفكر و تدبر و بيانا له أن اللّه يحيى من يشاء من خلقه إذا شاء و يميت من شاء إذا شاء).

هذه الآية توضح لنا كيف أن النائم كالميت فى خروج فعل الإرادة منه و كذلك إمكانية موته أثناء النوم. و لم يتمالك رئيس جمعية الباراسايكولوجى البريطانية- و هو رئيس قسم الفيزياء النووية فى إحدى الجامعات البريطانية- نفسه عند ما قرأت عليه الآية أثناء أحد مؤتمرات الإعجاز فى القاهرة إلا أن يقول: (خلال ۳۰ عاما أردت من أبحاثى على ميكانيكية الأحلام أن أعطى تفسيرا بهذه الدقة و البلاغة فلم أستطع)، ثم أسلم الرجل على ملأ من قومه.

أما القصص القرآنى فى الأحلام و الرؤى فنلاحظه من الآيات المباركات:

إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِى مَنامِكَ قَلِيلًا وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۴۳) (الأنفال: ۴۳) ... هنا رؤية النبى صلّى اللّه عليه و سلّم فى يوم بدر، و يلاحظ أهمية تأثير الرؤيا على الحالة النفسية و المعنويات القتالية للجند، و هو

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۴

قوله تعالى وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ وَ لكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ (۴۳)، و هذا ما لاحظته مختبرات علم النفس و الأحلام حديثا و لكن المتكلم هو العليم بذات الصدور، فسبحانه و تعالى عما يشركون.

من خلال التجارب وجد أن الأحلام قد تتحقق آنيا، أو بعد زمن طال أم قصر أو لا تتحقق أو قد تكون تخبطات لا معنى لها. و هذه الأنواع ذكرها لنا القرآن الكريم و السنة المطهرة قبل أن يتوصل إليها العلم التجريبى الحديث. فالنوع الأول يتضمنه معنى الآية الكريمة:

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قالَ يا بُنَيَّ إِنِّى أَرى فِى الْمَنامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (۱۰۲) (الصافات: ۱۰۲).

فهذه رؤى الأنبياء التى لا تخطئ، و منها رؤى سيدنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم و هى عديدة، و منها ما ذكرنا فى شأن رؤيا يوم بدر التى ثبتها الكتاب العزيز.

النوع الثانى هى التى قد يطول الزمن فى تحقيقها أو يقصر، فأما التى يطول فهى فى قوله تعالى:

إِذْ قالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى ساجِدِينَ (۴) (يوسف: ۴) .. ثم تحققت له رؤياه فيما بعد و لكن بعد زمن طويل.

و أما التى تحققت و لكن بعد زمن قصير فهو فى قوله تعالى:

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۵

وَ قالَ الْمَلِكُ إِنِّى أَرى سَبْعَ بَقَراتٍ سِمانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجافٌ وَ سَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَ أُخَرَ يابِساتٍ يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُؤْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ (۴۳) (يوسف: ۴۳).

وَ دَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ قالَ أَحَدُهُما إِنِّى أَرانِى أَعْصِرُ خَمْراً وَ قالَ الْآخَرُ إِنِّى أَرانِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (۳۶) قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما ذلِكُما مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ

لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ (۳۷) (يوسف).

و أما الأحلام التى لا تتحقق أو يعتقدها الناس كذلك فقد ثبتها القرآن الكريم بقوله تعالى:

قالُوا أَضْغاثُ أَحْلامٍ وَ ما نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلامِ بِعالِمِينَ (۴۴) (يوسف: ۴۴).

و قد قسم لنا المصطفى صلّى اللّه عليه و سلّم الرؤى و الأحلام إلى ثلاثة أنواع. فعن محمّد عن أبى هريرة

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۶

عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال ((الرّؤيا ثلاثة فبشرى من اللّه و حديث النّفس و تخويف من الشّيطان فإذا رأى أحدكم رؤيا تعجبه فليقصّها إن شاء و إذا رأى شيئا يكرهه فلا يقصّه على أحد و ليقم فليصلّ)) «۱».

أما عن قصص الرؤى و الأحلام من السنة المطهرة و سير الصالحين فنحتاج إلى مجلدات كى نسرد تفاصيلها، و لعل كتاب محمد بن سيرين رحمه اللّه تعالى (تفسير الأحلام الكبير) يزخر بحالات عديدة و مختلفة و عجيبة للأحلام، فأحيل القارئ الكريم إليه ليجد فيه كل ممتع و مشوق. (۱) أخرجه أحمد فى باقى مسند المكثرين، و مسلم فى كتاب الرؤيا برقم ۴۲۰۰.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۷

الفصل الرابع الباراسايكولوجى

اشارة

يعنى الباراسايكولوجى أو علم ما وراء النفس الدراسة العملية للظواهر غير العادية (lamronaraP) أى خوارق العادات و التى تتعارض مع المفاهيم العلمية السائدة و التى تعتمد على الممكن الملموس و المحسوس، و بعبارة أدق أى إمكانية تأثير للإنسان و الحيوان أو تأثرهما بكل ما يحيط بهما دون استخدام الحواس الخمسة المعروفة. و تسمى الظواهر الباراسايكولوجية بالظواهر الروحية الخارقة، و حديثا سميت بال (ساى isP)، و هى تقسم إلى:

۱- ساى المعرفة (noitingoC isP): و هو الإدراك المتجاوز للحس أى فوق الحسى (p. s. e)، و هو استجابة لمنبه خارجى دون اتصال حسى معروف، و يقسم أكاديميا إلى معرفة الماضى و الحاضر و المستقبل، و هى نوعين:

أ- التخاطر (yhtapeleT): و يعتمد على شخص آخر، فهو نقل أفكار من شخص لآخر دون وساطة حسية.

ب- الجلاء البصرى (ecnayovrialC): و هو الحصول على المعلومات بشكل مباشر، و إدراك الأشياء التى لا تتضمن تنبيها للحواس المعروفة.

۲- ساى الفعل (noitca isP): أو سايكوكنيسز، و هو تأثير العقل على المادة (K. P)، أو التأثير على أحداث فيزيائية دون تدخل قوى فيزيائية أخرى.

و من الناحية العملية و العلمية فالنوعين متداخلين و نادرا ما يحصل أحدهما دون الآخر، لذلك تم جمع النوعين بما يسمى الإدراك فوق الحسى العام (PSEG).

فى العام ۱۸۸۲ م أسست الجمعية البريطانية للبحوث النفسية و كان أحد أعضائها البروفيسور (سيرجوك) من جامعة كامبردج، و الذى قال فى افتتاح المؤتمر التأسيسى: (لو أن عشر هذه الخوارق التى نسمع عنها و يتناقلها الناس صحيحا لكانت قيمته العلمية ذات أهمية لا تقدر).

و فى العام ۱۹۶۹ م أسست الجمعية الأمريكية لبحوث الباراسايكولوجى و اتخذوا

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۸

قرارا بالإجماع و هو أن دراسة هذا العلم مقبول إلى جانب العلوم السائدة الأخرى. و فى عام ۱۹۸۵ م أطلق العالم الألمانى (ماكس دسوار) لفظة الباراسايكولوجى على مجموع الطاقات و القدرات فوق الحسية و القدرة على تحريك الأشياء عند الإنسان و الحيوان.

و لكن المعضلة الرئيسية تكمن فى أنه إذا ما أراد الباراسايكولوجى أن يعترف به كعلم قائم بذاته له أسس و تطبيقات و قوانين تحكمه و إحصائيات فعلية و ليس فلسفة و نظريات و كلام لا قيمة علمية له، فعليه أن يفسر هذه الخوارق تبعا للقوانين الفيزيائية المعروفة فى الطاقة و المادة. و لكن كيف يكون هذا و المسألة برمتها تتعلق بأمور لا يستطيع الفيزياء تفسيرها؟.

اكتشف للدماغ حيزا كهرومغناطيسيا يتأثر و يؤثر على ما حوله، و لكن عند وضع أناس أو حيوانات تحت الفحص فى غرفة فارادای المعزولة عن أى تأثيرات طيفية أو إشعاعية أثبت أن التخاطر يحصل، و هذا معناه أنه يحصل بطاقات تختلف عن تلك التى عرفت فيزيائيا. ثم ما لبث العالمان الروسيان (د. كوغان) و (د. بافلوف) أن التخاطر يترک أثره على أجهزة قياس و رسم المخ، فهو ظاهرة حاصلة فعلا و ذات أثر فيزيائى واضح فى نشاط المخ الكهربائى، و لكن الطاقة التى يحصل بها هذا التأثير غير معروفة فيزيائيا فما هى إذن؟.

فيما بعد استطاع العلماء من تعريف هذه الطاقة على أنها الطاقة الخامسة أو الطاقة الباراسايكولوجية ذات البعدين الفيزيائى و النفسى معا، و هذا العلم سمى بالفيزياء النفسية (سايكوفيزيكس)، و هو ما يتعلق بضبابية العلم دون الذرى، أى تلك الدقائق الصغيرة من النيوترونات و البروتونات و الإلكترونات و الكواركات و الكرافيتونات و دقائق المادة المضادة، أى تداخل عالمى المادة و الطاقة. و هكذا أصبح الباراسايكولوجى علما معترفا به و سمى بعلم المستقبل نظرا لأهميته، و بدأ العلماء يطالبون بإعادة صياغة العلوم بإدخال البعد الروحى هذا.

الربط القرآنى:

رب قائل يقول أن هذا الموضوع الذى يتعلق بالمعجزات قد أوتى لجميع الأنبياء دون استثناء، و هو مذكور فى التوراة و الإنجيل قبل القرآن. نقول و باللّه التوفيق:

أن القصد من المسألة ليس السرد بل التشخيص و التبويب العلمى الدقيق، فالمعروف

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۳۹

أن خوارق العادات أعطيت لكل الأنبياء و شاهدها أهل زمانها فقط، و أن ما وثق منها فى الكتب السماوية التى سبقت القرآن قد اعتراه التحريف و التبديل، و الدليل أنک لا تجد طبعة للإنجيل تشبه الأخرى، و أما التوراة فقد حرفت على أهواء بنى إسرائيل، و ليست هى توراة موسى الأصلية، ففيها ما فيها من أساطير تنافى العلم و العقل و المنطق كدليل على الوضع و التحريف البشرى الذى أصابها.

أما القرآن فقد صمد لأكثر من ۱۴۰۰ سنة دون تحريف و سيستمر على هذا لأن اللّه تعالى تعهد بحفظه: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ (۹) (الحجر: ۹).

من الناس من يقول أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم لم يأت بمعجزات كما جاء بها الأنبياء من قبله، كعدم الاحتراق بالنار التى وضع بها سيدنا إبراهيم عليه السّلام، و شق البحر لسيدنا موسى عليه السّلام، و تسخير الرياح و الجن لداود و سليمان عليهما السلام، و إحياء الموتى لسيدنا عيسى عليه السّلام، و غيرهم من الأنبياء و الرسل- عليهم السلام جميعا- .. و نسى هؤلاء المدعون أن هذه المعجزات المادية يصدقها أهل زمانها من الذين رأوها بأعينهم بينما يظل الذين يأتون من بعدهم بين مصدق و شاک و مكذب. بينما الإسلام و معجزته الخالدة- القرآن الكريم- كانا و سيظلان على مر العصور منارا و نبراسا يحكى لكل الناس عظمة هذا الدين و رسوخ جذوره فى الأرض و شموخ أغصانه فى عنان السماء، هذا الكتاب المعجز الذى لا يقتصر على مجرد كلمات فى سطور بل هو كون مقروء و نور يخرج الناس من ظلمات الجهل و الظلم إلى نور اللّه.

و مع ذلك إذا أردنا أن نعمل إحصائية بالمعجزات المادية لأنبياء اللّه عليهم السلام، فإن سيدنا محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم هو أكثر إخوانه من الأنبياء عليهم السلام تأييدا بالمعجزات المادية و لا يدانيه أى نبى من قبله فى ذلك من حيث عدد المعجزات أو عظمتها فلا يكاد يمر يوم من حياته الشريفة و سيرته العطرة إلا كانت له معجزة أو أكثر، و إليك بعض القطرات من هذا المحيط:

* فهو الذى أشار بإصبعه الشريف فشق القمر إلى نصفين «۱». (۱) جاءت القصة بهذا الشكل على عدة روايات و جاءت بروايات أخرى أن القمر شق إلى نصفين فى عهده صلّى اللّه عليه و سلّم.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۴۰

* و هو صاحب المعجزة الكبرى فى الإسراء و المعراج.

* و هو الذى تكلم مع البعير الذى اشتكى إليه أن مالكه يحمل عليه كثيرا و يطعمه قليلا.

* و هو الذى نبع الماء من يديه الشريفتين فشرب و توضأ منه جيش المسلمين بكامله فى إحدى المعارك.

* و هو الذى تكلم مع البنت الميتة بعد دفنها حيث أرادت أمها إرجاعها إلى الحياة لتراها للمرة الأخيرة، فسألها صلّى اللّه عليه و سلّم مخيرا إياها بين العودة إلى الحياة أو البقاء فأجابته البنت أن لبيك يا رسول اللّه، إنى وجدت ربى أحن على من أمى، فقالت الأم دعها يا رسول اللّه.

* و هو الذى رمى بحفنة من تراب على وجوه الذين تجمعوا حول داره فى مكة ليقتلوه و كانوا من جميع قبائل العرب، فجعلهم لا يرون و خرج من بينهم مهاجرا إلى المدينة هو و رفيق دربه أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه.

* و هو الذى أرجع العين المفقوءة لقتادة الصحابى الجليل، و اليد المبتورة لمعاذ بن الجارح التى قطعت فى إحدى المعارك.

* و هو الذى دعا النخلة إليه لتشهد أنه رسول اللّه بعد أن تحداه أحد الأعراب، فجاءت ملبية بعد أن اهتزت و خلعت نفسها من الأرض و جاءته تمشى على جذورها و تكلمت و شهدت أن لا إله إلا اللّه و أنه رسول اللّه.

* و هو الذى وضعت له اليهودية زينب بنت الحارث السم فى الشاة أبان معركة خيبر حتى إذا جاء ليأكلها تكلم معه اللحم المطبوخ بالسم فقال صلّى اللّه عليه و سلّم ((إن هذا العظم لينبأنى أنه مسموم)) أو كما قال صلّى اللّه عليه و سلّم.

* و حين أراد اليهود قتله قبيل موقعة بنى النضير بأن يرموا عليه الحجر من فوق أحد الدور، جاءه الوحى ليخبره بالقصة، فسلم ثم دارت المعركة و فتح اللّه للمسلمين موقع اليهود.

و غير ذلك مما لا يتسع المجال للتوسع فيه فقد ألف و كتب الكثير حول هذا

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۴۱

الموضوع المهم «۱».

و تبقى أهم معجزة أوتيها رسول اللّه سيدنا محمدا صلّى اللّه عليه و سلّم هى معجزة القرآن الكريم، هذا الكتاب الكون الذى لا تنقضى عجائبه و لا يشبع منه العلماء، فهو معجزة الأزمان كلها، و خصوصا زماننا هذا زمان العلم و التقنيات. و إذن ما يهمنا هو التشخيص القرآنى للحالات التى ثبتها الباراسايكولوجى و التى شرحناها سابقا.

۱- التأثير على المادة (سايكوكنيسز): شخصت هذه الحالة فى قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع عرش بلقيس، يقول اللّه تعالى:

قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قالَ هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِیَبْلُوَنِی أَ أَشْکُرُ أَمْ أَکْفُرُ وَ مَنْ شَکَرَ فَإِنَّما یَشْکُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ کَفَرَ فَإِنَّ رَبِّی غَنِیٌّ کَرِیمٌ (۴۰) (النمل: ۴۰).

إن تفسير الآيات المباركات أعلاه واضح جدا و مختصره أن سيدنا سليمان عليه السّلام كان له جيشا عجيبا قوامه الإنس و الجن و الطير و الحيوانات المختلفة و كل واحد منهم يعرف واجبه و مهماته، فكان عليه السّلام يتفقد جيشه يوميا كأى قائد يتفقد جيشه. و ذات يوم كان طير الهدهد غير متواجد فى التعداد، فتوعده سيدنا سليمان بالويل و الثبور إن لم يأته بحجة تمنع عنه ذلك، فجاءه بقصة

ما اطلع عليه من أمر الملكة بلقيس ملكة سبأ و عاصمتها مأرب. فتأكد سيدنا سليمان عليه السّلام من حقيقة الأمر و بعد أن اطمأن من صدق الهدهد أرسل إليهم يهددهم بالغزو و الإذلال إن لم يأتوه مسلمين فكانت نهاية الأمر أن جاءت بلقيس و قومها إلى القدس مسلمة طوعا دون قتال، و قبل أن تصل أراد سليمان عليه السّلام أن يؤتى بعرشها الضخم قبل أن تصل بقومها إلى القدس. فعرض عفريت من الجن إمكانياته فى أن يأتى به قبل نهاية مجلس الملك أى بحوالى نصف نهار أو يزيد قليلا، إلا أن سليمان عليه السّلام أراد أن تتم العملية أسرع من ذلك بكثير، فقال أحد علماء بنى إسرائيل أنه قادر على ذلك قبل أن يرجع إلى الملك البصر بعد إغماض جفنيه و فعلا تم (۱) من أراد التفصيل فهناك كتب كثيرة حول المعجزات المحمدية ألفها القدماء و المحدثون منهم البيهقى و السيوطى و غيرهم، و من المحدثين الحاج وليد الأعظمى و غيره.

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۴۲

ذلك بهذه السرعة الهائلة .. نلاحظ من أن عملية نقل مادة العرش من مأرب إلى القدس (ذهابا حوالى ۲۱۱۵ كم و إيابا بمثله أى ۴۲۳۰ كم) تمت بأجزاء من الثانية و هى أقل من الفترة الزمنية اللازمة لانطباق الأجفان على بعضها ثم إعادة فتحها و لمرة واحدة فقط. معلوم فيزيائيا أن نقل مادة من مكان إلى آخر يتطلب إعدام المادة من مكانها الأول ثم نقلها إلى مكانها الثانى، و حيث أن الأمر يتطلب هذه السرعة الفائقة التى تتعدى كثيرا سرعة الصوت، و قد تتعدى حتى سرعة الضوء إذا ما أخذنا بالاعتبار تأثير كلمة (قبل) على الموضوع «۱». و بالتالى شخص القرآن الكريم حالة السايكوكنيسز قبل تشخيصها علميا.

۲- التخاطر و نقل الأفكار: شخص القرآن الكريم هذه الحالة فى مواضع عديدة:

ففى قصة سيدنا يوسف و سيدنا يعقوب عليهما السلام، يقول اللّه تعالى: يا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَ أَخِيهِ وَ لا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ (۸۷) (يوسف: ۸۷). و هنا قد علم سيدنا يعقوب أن ولديه بخير، فأمر أولاده بالبحث عنهما.

و منه قول اللّه تعالى لسيدنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم وَ لَوْ نَشاءُ لَأَرَيْناكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيماهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمالَكُمْ (۳۰) (محمد: ۳۰).

و من السنة المطهرة هناك حالات عديدة لعل أهمها قصة إسلام سيدنا سلمان الفارسى رضى اللّه عنه، إذ أنه كان فى أهله على دين الزرادشتية ثم أصبح نصرانيا و تدرج فى دراسة العلم النصرانى فهاجر إلى الشام ليدرس على يد كبار البطارقة و القساوسة، و كان كلما يموت أحدهم يوصيه أن يذهب إلى آخر ممن عرف عنه غزارة العلم حتى إذا وصل إلى آخرهم و كان على فراش الموت سأله أن يدله على عالم أو راهب آخر يذهب إليه، فقال له هذا العالم: لا داعى لأن تذهب لأى عالم آخر فلقد آن أوان نبى آخر الزمان، فاذهب إليه فهو فى أرض العرب، و أعطاه ثلاث علامات ليتعرف عليه و هى أنه لا يقبل (۱) انظر كتابنا (المنظار الهندسى للقرآن الكريم/ الباب الثالث/ فصل هندسة النقل و الاتصالات فى القرآن الكريم).

الجملة العصبية و الطب النفسى، ج۲، ص: ۴۳

الصدقة و يقبل الهدية و عنده خاتم النبوة على ظهره كما وصف له أرض يثرب مع أنه صلّى اللّه عليه و سلّم لم يكن قد هاجر إليها بعد، فذهب الرجل إلى المدينة المنورة بعد أن سأل عنها و كان صلّى اللّه عليه و سلّم فى طريقه إليها و عند وصوله صلّى اللّه عليه و سلّم و استقبال أهل المدينة له فجاءه أحدهم عارضا عليه بعض التمرات من باب التصدق فرفض صلّى اللّه عليه و سلّم ثم أهدى إليه أحدهم هدية فقبلها، فلم يبق إلا العلامة الثالثة فتقدم صلّى اللّه عليه و سلّم من سلمان و كان لا يعرفه، فقال له: عمّ تبحث؟، عن الخاتم؟، فكشف عن ظهره الشريف و أراه الخاتم فخر سلمان صعقا لهول الموقف، و بعد أن أفاق أسلم و حسن إسلامه و ظل من كبار الصحابة حتى موته.

۳- الجلاء البصرى: من كتاب اللّه تعالى هناك ما رآه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى رحلة الإسراء و المعراج و التى ثبتها القرآن

الکریم بقوله تعالی سُبْحانَ الَّذِی أَسْرِی بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی الَّذِی بارَکْنا حَوْلَهُ لِنُرِیَهُ مِنْ آیاتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْبَصِیرُ (۱) (الإسراء: ۱) .. و فی سورهٔ النجم: إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی (۴) عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی (۵) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوی (۶) وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلی (۷) ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّی (۸) فَکانَ قابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنی (۹) فَأَوْحی إِلی عَبْدِهِ ما أَوْحی (۱۰) ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی (۱۱) أَ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری (۱۲) وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْری (۱۳) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهی (۱۴) عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوی (۱۵) إِذْ یَغْشَی السِّدْرَةَ ما یَغْشی (۱۶) ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی (۱۷) لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری (۱۸). و هنا یتضح قوله تعالی (النجم: ۱۷- ۱۸) ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی (۱۷) لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری (۱۸)، أی لیس فی المسألۀ زیغ بصر بل هی معجزات و آیات عظیمۀ جلیت لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم.

فی قوله تعالی فی سورهٔ الروم: الم (۱) غُلِبَتِ الرُّومُ (۲) فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ (۳) فِی بِضْعِ سِنِینَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ یَوْمَئِذٍ یَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (۴)، (الروم). ما یدل علی الغیب المستقبلی الذی أطلعه اللّه تعالی لنبیه فی نص قرآنی محکم، و هو من إعجاز القرآن الغیبی کما ذکرنا فی الکتاب الأول الخاص بالتاریخ. و هذا لیس جلاء بصریا یتعلق ببشر کما یتوهم البعض لأنه وحی لغیب سیحصل فی مستقبل قدره بضع سنین- أی من ثلاث إلی تسع سنین-، و لکنه تأشیر

الجملۀ العصبیۀ و الطب النفسی، ج۲، ص: ۴۴

قرآنی و إعلام للمسلمین بما سیکون مستقبلا إکمالا لإعجاز القرآن العظیم، و هو ما تحقق فعلا.

و من السنۀ و السیر هناک قصۀ معرکۀ مؤتۀ و استشهاد الصحابۀ جعفر و زید و عبد اللّه. و بشری نصر بدر بقوله صلّی اللّه علیه و سلّم (کأنی أنظر إلی مصارع القوم ..)، و بشری فتح فارس و القدس و القسطنطینیۀ و رومیۀ یوم الأحزاب. و کذلک عند ما جلّی سیدنا جبریل علیه السلام بیت المقدس لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم عند ما تحداه قومه أن یصف لهم بیت المقدس بعد عودته من رحلۀ الإسراء و المعراج.

و هناک قصۀ سیدنا عمر مع ساریۀ و صرخته المعروفۀ (یا ساریۀ الجبل) و سماع ساریۀ صوت عمر رغم مئات الکیلومترات التی تفصل بینهما، و غیر ذلک الکثیر.

کل ذلک نفسره علمیا- لمن یبحث عن ذلک- عن طریق علم الباراسایکولوجی، أما نحن المسلمون فنؤمن بکل ذلک غیبا دون الحاجۀ إلی دلیل علمی.

إلی اللقاء مع الکتاب القادم و السلام علیکم و رحمۀ اللّه تعالی و برکاته.

الجملۀ العصبیۀ و الطب النفسی، ج۲، ص: ۴۷

فهرس المحتویات

تعریف مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبۀ/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمۀ فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة "للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایة "القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظۀ هامّۀ:

المیزانیّۀ الحالیّۀ لهذا المرکز، شَعبیّۀ، تبرّعیّۀ، غیر حکومیّۀ، و غیر ربحیّۀ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّۀ و العلمیّۀ الحالیّۀ و مشاریع التوسعۀ الثّقافیّۀ؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّۀ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحۀ بقیّۀ الله الأعظم (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللّهُ تعالی؛ و اللّهُ ولیّ التوفیق.



مرکز
القائمیة
اصفهان
للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹